

إحسان عبد القدوس ...

النظارة  
السوداء

دار الفنون

مقتنيات المكتبة العربية

[www.Tipsclub.net](http://www.Tipsclub.net)

Amly

انى لا زلت مؤمنا بالمبادئ التى تقوم عليها هذه القصة ،  
ولا زلت مؤمنا بالهدف الذى تسعى اليه ، والصراحة التى كتبت  
بها .. ولكنى اشعر انى أستطيع ان اصل بها الى أعماق أبعد ،  
وأستطيع ان ألقى عليها أضواء أكثر ، وأستطيع ان أفتح فيها  
نوافذ جديدة لذهن القارئ ..

\*\*\*

هل أفعل ؟ ..

انى لو فعلت ، لأصبحت قصة جديدة ، غير القصة التى يريد  
الناشرون والقراء إعادة طبعها !! ..  
وان لم أفعل لبدت شخصيتى الحالية التى يراها القارئ فى  
قصصى الجديدة ، ناقصة مبتورة !! ..  
وقد وقع فى هذه الحيرة جميع الكتاب ، وقد فكرت فى ان انشر  
صورتى عندما صدرت الطبعة الاولى ، وصورتى اليوم عند  
اصدار الطبعة الثالثة ، وأقول : ان الفرق بين الطبعتين هو  
الفرق بين الصورتين !! ..  
ورغم ذلك فانى أفضل ان أترك القصة كما هى ، فانى لا زلت  
أحب شبابى .. وأحب صورتى وأنا بالبنطلون القصير ! ..

« احسان »

## مقدمة الطبعة الثانية

### هذا النوع من القصص

كثيرون من القراء يظنون بقلمى ان يكتب قصة تدور حوادثها  
بين رجل وامرأة ، بعد ان تعودوا منه الا يكتب الا فى المسائل  
الوطنية ..

وأنا كاتب أهوى الكتابة قبل ان أحترفها ، والكاتب المخلص  
كالرسم والموسيقى والمثال ، كلهم فنانون يعبرون عن عواطفهم ،  
والعاطفة الوطنية لا تنفى العاطفة المجردة التى تدور مع الاحساس  
بالحياة .. والرسم الذى يرسم صور الثورة وصور الحرية ،  
لا ينقص من قدره ان يرسم صورة امرأة عارية ..

وقد رسمت بقلمى صورة الثورة ، وصورة الظلم الذى يحيق  
بمصر ، وصورة اللصوص الكبار الذين يستنزفون دمها ، ولن  
يوقفنى عن رسم هذه الصور ان أرسم بين الحين والحين صورة  
رجل وامرأة يعيشان فى قصة ..

وقد كان جيريل دانزيو بطل حركة التحرير الايطالية يكتب  
اشعارا عن الحب الملتهب فى اشد أيام الضيق التى مرت بوطنه ..  
وغاندى بطل الهند ، لم تمنعه رسالته الوطنية من ان يكتب  
فصولا طويلا فى كتابه « تجاربى مع الحقيقة » عن النساء اللاتى  
هشن فى حياتهن وتركن فيها قصص غرام عنيف ..

وقد كتب بلزك هذا النوع من القصص منذ مائة عام ، ولم  
يقبل أحد ان بلزك كان كاتباً منحلاً ، بل ان قصص بلزك لم تعش  
حتى اليوم الا لأنها من هذا النوع ! ..

\*\*\*

والادب العصري كله .. الادب الفرنسى والادب الروسى والادب  
الأمريكى والانجليزى .. هو ادب صريح .. ادب لا يحتمل  
النفاق .. ادب يتطلب من الكاتب ان يكون طبيياً يصف الداء  
والدواء .. وعندما تتعري امرأة أمام الطبيب ليتحسس جسدها  
بأصابعه ، لا يعتبر انه خرج عن التقاليد ، ولا عن العرف ، ولا  
عن الدين ..  
انى فى هذا الكتاب حاولت ان اكون كاتباً ، وحاولت ان اكون  
طبيباً ..

(( احسان عبد القدوس ))

وشوقى الشاعر الذى قال « وما نيل المطالب بالتمنى » قال  
ايضاً « مضناك جفاه مرقده » !

والمتنبى الشاعر المتمرد كان ينشد أناشيد الحب والغزل بين  
الحين والحين ، وشوبان الذى كتب لحن الثورة البولونية كتب  
ايضاً لحن غرامه بصديقه جورج صاند وكتب الحانا يرقص لها  
الشعب ، وذررايلى كان الى ان تولى رئاسة الوزارة البريطانية  
يكتب روايات غرامية رخيصة يبيعها للناس ، وماوتسى تونج قائد  
الثورة الشيوعية فى الصين لا يزال حتى اليوم يكتب اشعاراً  
غرامية يتفنى بها الثوار . وبدوفسكى رئيس جمهورية بولونيا  
لم يعبه لدى بنى وطنه انه كان يحترف عزف « البيانو » وانه  
ظهر عازفاً وممثلًا فى احد الافلام السينمائية !

\*\*\*

كل هؤلاء كانوا صادقى العاطفة ، سواء عندما هتفوا بالحرية  
لوطنهم او عندما ترنموا بأناشيد الحب والغرام .. انهم فنانون  
صادقون ، ولن يصدق احد منهم فى وطنيته الا اذا صدق فى  
التعبير عن كل احساس يثور فى نفس الرجل ..  
انى أستطيع ان ادعى الوقار ، وأستطيع ان أضغط على قلمي  
حتى لا يكتب الا فى حدود نطاق مرسوم .. ولكننى لا أريد لانى  
أقوى من الادعاء ، وأقوى من الكذب ، وأقوى من ان أخجل من  
فنى ..

انى كاتب قد أموت فى سبيل المبادئ التى أَدافع عنها ،  
ولكننى لا أقبل ان أستغل هذه المبادئ لأبدو أمام القارئ فى  
صورة غير صورتى ..

ان قراء آخرين قد يففرون لى كتابة القصة ، ولكنهم لا يففرون  
لى كتابة هذا النوع من القصص !

## عذرا .. وشكرا ..

سيلومنى البعض على نشر هذه القصة .. سيقولون كيف اكتب عنها بعد كل ما كان بينى وبينها .. لقد كنت لها اُخا وَاُبا وصديقا واستاذا ولا ازال .. ورغم هذا ، فهذه هى قصتها ، انشرها على الناس بكل حروفها .. وبكل ما فيها من هوس وجنون .. انشرها وأنا فخور بها .. بالقصة وببطلتها القصة ..

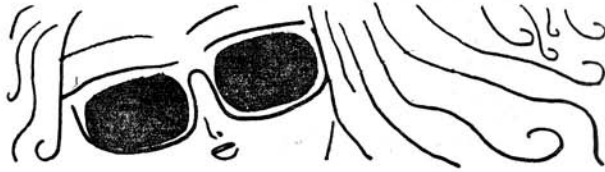
وقد حذروها منى عندما عرفتها .. وقالوا لها انى اضع قلمى أمام قلبى وفوق الصداقة والأخوة ، واننى سأخذ منها يوما موضوعا لقصة استبيح بها كل أسرارها .. وقالوا لها اكثر من ذلك - غفر الله لهم - ورغم ذلك فقد قبلت صداقتى ، وقبلت أن تقف أمامى عارية من كل أسرارها لأرسم لها بقلمى هذه القصة ..

\*\*\*

وقد أردت أن أقرأ لها ما كتبت ، ولكنها سدت أذنيها بأصبعيها ، وقالت وابتسامتها الطيبة فوق شفثيها : « لا أريد أن أسمع .. دع الناس يسمعون ويحكمون .. ويكفيني انى أوحيت إليك ! » ..

من هى ؟ ..

ان احدا لا يكاد يسمع بها الآن ولكنها منذ خمس سنوات كانت ملاء عيون القاهرة .. وكنت تلتقى بها دائما فى النوادى الراقية ، والليالى الساهرة والفنادق الكبرى ، وحفلات الافتتاح .. وكانت ترقص دائما ، وتضحك دائما ، وتشرب دائما ، وتاكل دائما .. وتضع على عينيها دائما نظارة سوداء ..



هذه المبادئ ، وهذه المثل العليا ؟ !

الشرف .. الأمانة .. الاخلاص .. الوطنية .. الشهامة ..  
الوفاء .. النزاهة .. الخ !! ..

هل وضعت لتكون نظاما مقررة ترتب حياة كل انسان ،  
وتحدد تصرفاته ، وتحكم قلبه وعقله ؟ !

لا !! ..

ان هذه المبادئ والمثل العليا وضعت لاستعمالها وقت الحاجة  
فقط ، فان لم نحتج اليها فلا نؤمن بها ، ولا نستعملها !

ان الزوجة الفقيرة - مثلا - اشد اخلاصا لزوجها وأكثر عفة  
من الزوجة الغنية ، لماذا ؟ ..

لا لأن الفقيرات خلقن من طينة غير طينة الغنيات ، ولا لأنهن  
ملائكة والأخريات من اتباع الشيطان ، بل لأن الزوجة الفقيرة  
في حاجة الى زوجها ليعولها ويصون لها بيتها ، فهي في حاجة  
الى الاخلاص له حتى لا تفقده ، والخوف من أن تفقده يزيد بها  
اخلاصا وعفة .. أما الزوجة الغنية فليست في حاجة ملحّة الى  
زوجها ، ولا تخاف أن تفقده ، فهي تستطيع دائما أن تجد غيره ،

ولم يكن احد يعلم انها عندما ترقص لا تحس بشيء الا بأن  
هناك ذراعا ثقيلة تحيط بخصرها ، وعندما تضحك لا تحس الا  
بأن شفقتها قد انفرجتا ، وعندما تشرب لا تحس الا بما يعقب  
الشراب من صداع في آخر الليل ، وعندما تأكل لا تحس الا بأن  
هناك أشياء تتساقط في معدتها ، ولم يكن احد يعلم ان هذه  
النظارة السوداء لا تلقى ستارا أسود أمام عينيها فحسب ، بل  
انه ستار ينسدل أمام قلبها وعقلها وحسبها ..

كانت شيئا يدب على الارض .. كانت حيوانا جميلا اليقا  
محروما من كل المتع التي خص بها الله الانسان .. وكانت تعتقد  
ان هذه هي الحياة ! ..

أما الآن فقد أصبحت فتاة أخرى .. انसानة تحس بالآلم  
والسعادة .. انها تحس بالإبتسام ولكنها قلما تبتسم ، وتحس  
بنشوة الشراب ولكنها لا تشرب ، وتطوف مع الأحلام عندما  
ترقص ، ولكنها لا ترقص ، وتذوق الطعام عندما تأكل ولكنها  
لا تأكل الا النزر الذي يمد في حياتها .. ثم ان نظارتها لم تعد  
سوداء ! ..

هذه هي البطلة ..

وقد مر عليها - في قصتها - كثير من الأبطال ، وانتهت الى  
بطل واحد .. انه شاب تتحدث عنه مصر منذ عامين .. تتحدث  
عنه كسياسي وفنان وعضو مجلس نواب ، وقد فتح لى قلبه  
وأثمننى على قصته كما أثمن عليها صديقى ونقيبى فكرى إباضة  
ولكنى وحدى ابحت لنفسى نشرها لأنى الوحيد الذى يعلم  
من القصة ليست قصته ولكنها قصتها ..

فعدرا له ، وشكرا لها ..

« احسان »

وتستطيع دائما ان تعول نفسها ، وتعول بيتها ، وقد تعتقد ان ما يربطها بزوجها ليس فقط شخصها بل أيضا ثروتها ، وهى لذلك ليست فى حاجة الى الاخلاص ، ولا الى العفة ، قدر حاجة الفقيرة اليهما ، وهى لا تؤمن بهما هذا الايمان المجرد القوى ، انما هو ايمان وقتى يحدده مزاجها ورغبتها فى الابقاء على زوجها ! ! ..

\*\*\*

والرجل الفقير - مثلا أيضا - يؤمن بالامانة ، والشرف ، والنزاهة ، ويطلب الناس بالايمان بها ، لا لشيء الا ليحمى معاملاته البدائية الصغيرة ، ويحمى متاعه التافه ، ويحمى حقوقه ، ثم ليحمى نفسه من احكام القانون وسلطان الحكومة ، اما الرجل الفنى فليس فى حاجة الى الامانة ولا الشرف ولا النزاهة ، فهو يضع امواله فى بنوك محصنة ، ويضع متاعه وراء اسوار عالية ، ويستخدم نفوذه للتخلص من احكام القانون وسلطان الحكومة ..

والوطنية والحرية .. ان لهما فى الدول الضعيفة معنى جلاء الجيوش الأجنبية ، ولهما فى الدول القوية معنى الاستعمار والفرو .. والشعب الذى يهتف فى مصر مطالبا بالجملاء ، يقابله شعب آخر يهتف فى بريطانيا بالاحتلال .. وذلك لان مصر فى حاجة الى الجملاء ، وبريطانيا فى حاجة الى الاستعمار والى الامبراطورية ليزداد شعبها ثروة وقوة .. وهكذا ..

هكذا كل هذه المبادئ .. انها العصا التى يستند اليها الضعيف ، اما القوى فليس فى حاجة الى عصا ليستند عليها .. انه يقف على قدميه قويا متحديا ، بلا مبادئ وبلا مثل عليا ! !

هكذا كان يخاطب نفسه وهو جالس فى مقعده الوثير امام المدفأة فى بيته الانيق الذى تتناثر فيه التحف كأنها شواهد تقوم فوق قبور اباطرة الرومان ..

ولكنه منذ سبع سنوات لم يكن يخاطب نفسه هكذا ، ولم يكن يملك هذا المقعد الوثير ، ولا هذه المدفأة ، ولا هذا البيت الانيق .. ولم تكن فى حياته قبور ، بل كانت حياة تجرى الدماء الحارة فى كل دقائقها وثوانها ، وتنبض ايامها فى قوة وعنف تهتز لهما المدينة كلها ..

منذ سبع سنوات فقط كان فقيرا - او اقرب الى الفقر - وكان فنانا عبقريا يرسم خطوط مجده فى قسوة وجراة .. قسوة على نفسه وجراة على الناس ، وعلى القانون ، وعلى الحكومة ، وعلى التقاليد ..

\*\*\*

وكان مؤمنا بهذه المبادئ وهذه المثل العليا ، ولم يكن يعتقد انه يؤمن بها لحاجته اليها ، بل كان يؤمن بها ايمانا مجردا كايماه بالله ، ايمانا لا يحتمل المناقشة ، ولا يبحث عن الاسباب ولا يلتمس الاعذار للكفر بها او الخروج عليها ..

كان صادقا متطرفا فى صدقه .. نزيها متطرفا فى نزاهته .. وطنيا متطرفا فى وطنيته .. مضحيا ، متهورا فى تضحيته .. وكان يحب ، فيذوب فى حبه .. كان يحب ! ! ..

كانت ايامه كلها حب ، ولم يكن يتصور يوما واحدا يقضيه على قيد الحياة بلا حب ..

كان الحب فى حياته هو الزهر الذى يعترضه ويسكب رحيقه فى دمانه ليخدر به اعصابه ، فلا يحس بالاشواك التى يدوسها فى

اصابعه .. وكانت باردة برودة الثلج في يوم مظلم ! !  
كان فقيرا وسيصبح غنيا ، وكانت ثرية وستصبح فقيرة ..  
كان مؤمنا بمبادئه وبمثله العليا ، ولم يكن لها مبادئ ولا مثل  
عليها .. ولم تكن تعتقد ان العالم في حاجة الى مبادئ او الى  
مثل عليا ! ! ..

كان قوى الشخصية حتى تكاد تحس به دون ان تراه .. ولم  
يكن لها شخصية حتى تكاد لا تحس بها وهي بجانبك .. بل انها  
كانت تفتقر الى الخطوط البدائية التي تحدد شخصية كل  
انسان .. فهي لم تكن مصرية ، رغم انها ولدت في مصر وتعيش  
في مصر ، ولم تكن سورية رغم ان عائلتها نشأت في سوريا ، ولم  
يكن فرنسية رغم انها تحمل الجنسية الفرنسية ، فلم تكن تشعر  
بانها تنتمي الى مصر فتؤمن بما يؤمن به المصريون ، او تنتمي الى  
سوريا فتؤمن بما يؤمن به السوريون ، او تنتسب الى فرنسا  
فتزهو بشخصية فرنسية ..

حتى لفتها .. انها تتكلم العربية ولكنها فرنسية ، وتكلم  
الفرنسية ولكنها عربية ، وتكلم الانجليزية ولكنها أمريكية التلقظتها  
من افلام السينما ! !

\*\*\*

لم يكن لها شعب ، ولا وطن ، ولا هدف ، ولا شيء تغار عليه  
وتحمس له .. كانت شيئا ضائعا لا خطوط له ولا حدود ..  
شيئا كهذه الرغبة التي تطفو على سطح مياه البحر قرب الشاطئ ،  
تختفي حينما وتظهر حينما ، دون أن يكون لها اثر ، ولا أهمية ،  
لا بالنسبة للبحر ، ولا بالنسبة للشاطئ ..  
مظهر واحد كان يحدد شخصيتها .. وهو هذه النظارة  
السوداء التي تضعها على عينيها دائما ، صباحا ومساء ..

طريقه بقدميه العاريتين ، ولا يلمح السيوف الباترة التي تكاد  
تجزر رقبتة في كل خطوة يخطوها .. كانت هذه الخفقات الرقيقة  
التي تلامس صدره ، وهذه الهمسات الناعمة التي تطرق اذنيه  
في رفق وحنان ، هي كل نصيبه من الدنيا ، وهي التي تمدته  
بالثقة في نفسه ، والقدرة على أعدائه ، والأمل في جهاده ..

وكان يعجب من نفسه احيانا .. فهو قد احب اكثر من مرة ..  
مرات لا يكاد يحسبها .. وفي كل مرة كان صادقا في حبه  
مخلصا .. وكان يتالم حقا ، ويسعد حقا ، وينتابه كل ما في  
الحب من هناء وشقاء ..

\*\*\*

كان لا يجد تعليلا لهذا القلب الحساس السريع الانزلاق الذي  
يضعه بين ضلوعه ، الا في طفولته ..

فقد كان في طفولته محروما من الحنان .. حنان الام وحنان  
الأخت وحنان أبة امراة .. كانت طفولته قاسية جافة أشبه  
بالطفولة المشردة ، تركت في نفسه عقدة نقص ، حاول ان يعوضها  
عندما بلغ طور الرجل ، بالارتداء فوق صدر أبة امراة ليفتش  
فيه عن الحنان ..

الى ان قابلها ..

وفي هذه المرة لم يحاول ان يعتصر رحيق الحب من الزهر ،  
بل حاول ان يعتصره من حجر ..

كانت تمثالا جميلا من الحجر .. ورغم ذلك احبها ! !

احبها رغم انها كانت تمثل امامه كل ما يبفضه ، وكل ما  
يحقره ، وكل ما يكافح للقضاء عليه ..

وكانت صورة عكسية لكل ما يمتاز به ..

كان نائزا في كل تصرفاته ، حتى لتكاد النار تندلع من اطراف

وهو لم ير فيها - عندما رآها لأول مرة - إلا هذه النظارة السوداء ، وصليبا من ذهب يتدلى فوق صدرها المكتنز ويترنح بين طيات ثوبها كأنه يحاول أن يختبئ خجلا من صاحبته ومن عيون الناس ..

أين رآها لأول مرة ؟ ..

• انه يذكر اليوم والمكان بالتحديد - ٥ يونيو عام ١٩٤٣ - ملهى « الرومانس » بالاسكندرية ..

رآها واحتقرها ، وثار في نفسه هذا الاشمئزاز الذى كان يثور في نفسه كلما رأى واحدة أو واحدا من هذه الطبقة الراقية التى تعود أن يكرهها ويحاربها قبل أن يصبح عضوا بارزا فيها ! كانت يومها تضحك كثيرا ، وتشرب كثيرا .. وتطوف بين الموائد والكاس بيدها تداعب الرجال ، والرجال يقابلون دعابتها فى ترحيب ينقصه الحماس ، وكأنهم تعودوا منها هذا الضحك الكثير ، وهذا الشرب الكثير ، وهذه الدعابات ..

\*\*\*

ووقفت عيناه عند النظارة السوداء والصليب الذهب .. ولم ير غيرها .. لم ير أن لها أنفا دقيقا .. كأنه خلق خصيصا لاستنشاق عبير الورد ، وان لها حاجبين كثيفين كأنهما ظلال من الفحم الأسود القاه فنان ليبرز بها بياض بشرتها ، وان لها شفتين ترتعشان دائما كأنهما فى انتظار قبلة مرتقبة ، حتى لتضطف عليهما بأسنانها بين الحين والحين تهديء من رعشتها .. وان لها ثلاث شامات انتشرت فوق وجهها ، وكأنها - أى الشامات - معالم الطريق الى شفتيها ..

لم ير شيئا من هذا كله ..

فقط النظارة السوداء ، والصليب الذهب ..

وظل بعدها ليالى كثيرة وهذه النظارة وهذا الصليب يلاحقانه فى نومه وفى صحوه .. لا يدري لماذا ؟ !

وكان أحيانا يحاول أن يجد معنى لنظارة سوداء وصليب من ذهب ، لو رسما فى لوحة من الفن الرمزي .. أى رمز يوحى به ؟ ..

الصليب يمثل الهداية ، والنظارة السوداء تمثل ظلام الضلال .. كيف تجتمع الهداية والضلال فى لوحة واحدة ؟ !

وقد ترمز النظارة السوداء الى الفموض المثير المريب .. والصليب يرمز دائما الى الوضوح .. وضوح المبدأ ووضوح الفكرة ووضوح الانسانية الكريمة .. كيف يجتمع الفموض والوضوح بهذه السهولة فى انسان واحد !

وبدا يراها كثيرا ، فهو يتردد على نفس الأماكن والمنتديات التى تتردد عليها .. وفى كل مرة كان يراها ، كان الفيظ يخنقه ، والحققد يثور فى صدره ، حتى يتمنى لو صفعها .. فقد كانت دائما تضحك ، ودائما تشرب ، ودائما تأكل ، ودائما تداعب الرجال ثم بدأ يقيم من نفسه رقبيا عليها ، يحاسبها على كل حركة من حركاتها ، وعلى كل رجل تلتصق به .. ثم بدأ يتعمد البحث عنها ويخرج من ملهى ليدخل آخر جريا وراءها .. كل ذلك دون أن تحس به أو تلمحه ، ودون أن يعرف عنها إلا هذه النظارة السوداء وهذا الصليب الذهب الذى يتوارى فى صدرها خجلا منها ومن عيون الناس ! !

\*\*\*

ودعى الى حفلة كوكتيل فى إحدى السفارات الأجنبية .. وهو يكره حفلات الكوكتيل ويعتبرها حفلات نفاق يتحتم عليك فيها أن تضع ابتسامتك فوق شفتيك لتقابل بها اعدائك ..



وكان يتلقى الدعوات الى مثل هذه الحفلات فلا يلبىها ، ولا يكلف نفسه حتى الاعتذار عنها .. فقد كان يعلم انه يدعى اليها بحكم فنه لا لشخصه ، وكان يعلم ان من سيقابلونه هناك يخافون جراته ولسانه والخطوط الصريحة التي يرسمهم بها ، ولكنهم لا يحبونه ، ولا يطبقون وجوده .. وكان دائما يفضل ان يخافه الناس على ان يحبوه ، فانك لن تملكهم بالحب وستضعهم بالخوف !! ..

ولكنه في هذه المرة لبي الدعوة وذهب ..

ذهب ليراها هناك ولتراه لأول مرة ..

قدمهما صديق أحدهما الى الآخر ، ونطق اسمها : سوزيت ..

ولم ينطق اسم عائلتها .. وكان كل انسان في العالم مفروض فيه

ان يعرف من هي سوزيت ، ومن هي عائلة سوزيت ، وان اباهما احد كبار الأثرياء المضاربين في البورصة ..

وعندما نطق الصديق باسمه هو ، صاحت :

— أهذا هو انت ؟ .. كنت أتخيلك رجلا عجوزا مخيفا ذا لحية زرقاء شعراتها كالشوك !!

ولم يجب بشيء .. فقد تعود ان يسمع مثل هذا الكلام من

كل من يلقاه لأول مرة ، وحاول ان يحتقرها دائما قبل ان تعرفه ،

ولكنه لم يستطع .. فقد رأى فيها لأول مرة شيئا آخر غير

النظارة السوداء وصيلب الذهب .. رأى الأنف الدقيق ،

والحاجبين الكثيفين ، والشامات الثلاث ، والشفتين المرتعشتين !

\*\*\*

ودار بينها وبين الصديق المشترك ، حديث تافه حول قضاء

الصيف في أوروبا عندما تنتهى الحرب ويتاح السفر للخارج ، وكان

صامتا ، لا يشترك في الحديث الا بالقدر الذى يحتمه عليه وجوده

بينهما ، الى ان التفتت اليه تسأله :

— أين تسافر بعد انتهاء الحرب ؟ ..

وأجاب في اقتضاب :

— لن أسافر ..

— لماذا ؟ .. الا تعجبك مصايف أوروبا ؟ ..

— انى لم أر أوروبا .. انى فقير يا آنسة .. ولى الشرف !! !

ولم يبد عليها انها ارتاعت لتصريحه بفقره ، أو أشفقت عليه

أو حتى اشمازت منه .. لم يبد عليها انها سمعت شيئا يستحق

التعليق ، أو يستحق أن يكون موضوعا لنقاش ، انما مدت يدها

والثقت كاساً من فوق صينية يطوف بها خادم ، وقدمتها اليه

قائلة :

— اذن ، خذ هذه الكأس .. فهى تقدم هنا مجانا !

قالتها ، ثم واجهته بنظارتها السوداء وصيلبها الذى يتدلى

فوق صدرها ، وابتسامة واسعة بين النظارة والصيلب ! ..

واراد ان يعتبر قولها اهانة لحقته ، وأن يثور وأن يحطم الكأس

التي تقدمها له ، ثم يحطم النظارة السوداء ، والصيلب الذهب ،

والأسنان التي ترسم ابتسامتها .. ولكنه لم يفعل شيئا من هذا

كله ، وعلق عينيه فوق وجهها برهة ، ثم ادار لها ظهره متجاهلا

اليد التي تحمل له الكأس ، متظاهرا بأنه يحيى صديقا ..

وعندما التفت مرة ثانية لم يجدها ، ولم يجد صديقهما ..

\*\*\*

ومرت أيام ..

وجاء هذا الصديق نفسه يدعوه الى العشاء .. وهو صديق لم

يتعود دعوته ، ولم يكن يرتاح اليه .. انه من هذا الصنف من

الشبان الذين يقضون أيامهم بحثا وراء متعة أو بحثا وراء نفع

مادى ، ويخيل اليك انهم كرماء بما ورثوه عن آباؤهم من مال ،  
ولكنك لو تحققت لو وجدت ان لكل ملهم لديهم حسابا ، ولكل  
صديق حولهم نفعاً يعوضهم عن السخاء الذى يسبقونه عليه ..  
ورغم ذلك قبل دعوته ..

ولم يفاجأ عندما وجدها هناك ، ولم يفاجأ عندما وجد الدعوة  
مقصورة على أربعة .. هو ، وهى ، وصديقه ، وفتاة أخرى ..  
وكانه كان ينتظر أن يجدها ، وان تكون له !  
وقالت عندما رآته ، وكانها أصدقاء قداماء :

— أين كنت ؟ .. لماذا لم أرك ؟ .. لماذا لم تتصل بى ؟ ! ..  
وكانت تتكلم فى بساطة ويسر وكان من حقها ان يقول لها اين  
كان ، وأين يراها ، وان يتصل بها ..

\*\*\*

وبدأت تشرب .. كانت يدها لا تلمس الكأس حتى تفرغها ،  
ولا تتركها الا لتعود وتلمسها ! ! ورغم ذلك لم تبد عليها نشوة ،  
ولم تترنح ، ولم ترتفع الى السماء ولا انخفضت عن الارض ..  
وبدأت تاكل .. فانتقت اصناف الطعام لنفسها فى دقة وخبرة  
وكانها تعد مذكرة قانونية ، وعندما جاءت الأطباق احتضنتها  
بين ذراعيها وافنت نفسها فيها .. أكلت كثيرا ، ورغم ذلك لم  
يبد عليها الشبع ولم تحمد الله .. وهو يكره المرأة التى تاكل  
كثيرا ، بل يكره ان يرى امرأة تاكل ، فالنساء فى نظره ملائكة  
لا يأكلن كما يأكل باقى البشر .. وكان دائما من انصار التقاليد  
القديمة التى تحرم على المرأة ان تشارك الرجل طعامه حتى لو  
كانت زوجته ، لا لأنها تقاليد تحط من قيمة المرأة ، بل لأنها  
تصون المرأة من ان تبدو امام رجلها فى شكل منفر .. شكل حيوان  
يأكل ويلتقط الطعام بشفتيه ويمضغه بأسنانه .. فى حين ان

الشفيتين لم تخلقا الا للقبل ، والأسنان لم تخلق الا للابتسام ! !  
ولكنه لم يكرهها عندما رآها تأكل ، بل شعر بفيظ ، وأراد  
ان يمنعها من الاكل حتى لا تفسد جمالها وصورة الملاك التى  
يحاول ان يرسمها لها ، ولكنها لم تفهم شيئا .. ونظرت اليه  
كأنه مجنون !

وكان الحديث حول المائدة تافها .. وهو لا يجيد الأحاديث  
التافهة ، ولا يحفظ شيئا من هذه النكات المتدلة الخارجة التى  
يتناقها الناس لانارة الضحك المفتعل بينهم .. وكانت تحفظ  
كثيرا من هذه النكات ، وتضحك كثيرا لها حتى لو كانت « قديمة »  
.. واضطر ان يستعين بالكأس ليجد فى نفسه الشجاعة ليضحك  
معها وليشاركها هذه الأحاديث التافهة ، وليقاوم احتقاره  
لعقليتها .. وشعر ليلتها انه بدأ يخون مبادئه ، وبدأ يلين فى خلقه  
العنيد الجاف ، وبدأ ينافق ..

ولكنه كان يشعر بأن هناك شيئا يربطه بها ، ويدا مجهولة  
تدفعه اليها ، وكان يخدع نفسه عندما يعتقد ان هذه الفتاة التى  
بجانبه لا تثير الا سخطه وغيظه واشمئزازه .. فقد كانت تثير  
كل ذلك فعلا ، ولكنها كانت تثير أيضا قلبه ، ولهفته ، وحنانه ! !

\*\*\*

وقام يراقصها .. وعندما ضغط بذراعه فوق ظهرها لم يبدا  
عليها انها أحست بشيء ، وعندما وضع خده فوق خدها لم تمنع  
ولم يحمر وجهها خجلا ، ولم تحس ان هناك خدا فوق خدها ..  
وعندما قرب أنفاسه من أذنها لم ترتعش ولم تحترق أذنها ..  
كانت باردة كالحجر الصلد الجميل ، وكانت ترقص وكانك تدفع  
هذا الحجر بذراعيك فيندفع دون ان يحس ..  
وانصرفوا هم الأربعة .. وكان يفكر كيف يودعها ، وكيف

يلتقى بها مرة ثانية ، وعندما وضعت ذراعها في ذراعه ، وقالت له - وكانوا قد أصبحوا في الشارع :

- أين سيارتك ؟ ! ..

ذكرها انه فقير ولا يملك سيارة ، ثم نادى سيارة اجرة ! !  
ولوحت بيدها للصديق وصاحبته ، وقفزت في داخل السيارة  
الى أين ؟ ..

كما تريد ! !

وأعطى للسائق عنوان بيته ، وانتظر منها أن تعترض وأن تحتد وأن تثور فهذه أول مرة يخرجان فيها سويا ، ولم تجر العادة بين بنات الناس ، حتى في هذه الطبقة الثرية المدللة الفاسقة ، أن تصحب الفتاة شابا لتلتقى به لأول مرة الى بيته .. ولكنها لم تعترض ولم تحتج ولم تثر .. ظلت جامدة كالحجر ! وأصبحت في البيت ..

انه بيت متواضع ، ولكنه بيت فنان تنتشر فيه لوحات وكتب رخيصة تمثل الفن الشعبى المصرى .. وكانت كل فتاة تدخله تجد فيه شيئا تلهى بالفرجة عليه ريثما تلتقط أنفاسها وينسجم الحديث بينها وبينه .. ولكن هذه الفتاة لم تحاول أن تلهى بشيء ، انما خلعت نظارتها بمجرد دخولها ثم استدارت له بوجهها

\*\*\*

ولاول مرة يكشف انها قصيرة النظر الى حد بعيد ، وان هذه النظارة السوداء لا تضعها لمجرد التجميل كما جرت العادة بين الأوساط الراقية في تلك الأيام ، بل ان نظارتها طيبة سمكة ولأول مرة أيضا يكشف لون عينيها .. لون العسل المصفى .. وكانت في عينيها نظرة نهمة جائعة .. نفس النظرة التى خيل إليه انها تطل من وراء نظارتها عندما كانت تستقبل أطباق الطعام !

واحس بالحرج .. كان يريد أن يتحدث إليها وأن يستمع لها .. يريد أن يروى لها قصته ، وتروى له قصتها .. ولكنها كانت تقترب منه وشفاتها ترتعشان وأنفاسها تهدهج والنظرة النهمة تحرق وجهه .. ثم اذا هى بين ذراعيه ، وشفاتها فوق شفثيه ، وأسنانها تصطك بأسنانه وذراعاها القويتان تعصرانه في صدرها وكاد يختنق .. وانبهرت أنفاسه .. وتثلجت أطرافه .. ثم حاول ان يبعدها عنه ولكنها كانت قد أصبحت كالدثبنة .. ازدادت عيناها لمعانا ، وانتشرت خصلات شعرها فوق وجهها .. وانطلقت من صدرها ضجة كأنها العواء .. ثم نضت ثيابها عن نفسها فبدت عارية الا من الصليب المظلوم الذى كان يتعذب فوق جيدها ، ويترنح في عنف كأنه يريد الفرار منها ..

ومدت ذراعيها اليه لتعصره من جديد ، وأنشبت أظافرها الحادة في لحمه ، وتآوه في ألم .. ولم يدر ماذا يفعل ؟ .. وكيف يهرب من جحيمها الذى تسلطه عليه ..

ولم يفعل شيئا الا أن استسلم لها بلا حس وبلا أعصاب ، وكنم الألم والضيق في صدره ، ولم يعد بين يديها سوى كيس من القش تمزق فيه بأسنانها وأظافرها ، وهو لا يحس ولا يعترض ..

\*\*\*

لقد حدث كل هذا فجأة ، بلا مقدمات وبلا حديث .. كأنها صدمة صامتة أصابته من حيث لا يدري ولا يحتسب ..

وعندما ضاقت به .. أفلتته من بين ذراعيها في صمت ، ثم أعادت نظارتها فوق عينيها ، ودخلت في ثيابها ، وهذا الصليب فوق صدرها .. وعادت باردة كالحجر ! !

لم يقل شيئا .. ولم تقل شيئا ! !

انما لمح دمعة صغيرة تنحدر فوق وجنتيها ..

انها مريضة هذه الفتاة ..



انها مريضة ..

هذا البرود ، وهذا الانحلال ، وهذا الحس الحيواني العنيف ،  
وهذا التجرد من كل مقومات الانسانية .. كل هذا لا يمكن أن  
يكون الا مرضا ..

ان الفرق بين الانسان والحيوان ، هو الفرق بين الفكرة  
والمادة ، هو الفرق بين المبدأ ولا مبدأ ، هو الفرق بين الاحساس  
بالمعنى ، والاحساس بالفعل أو بالعمل ..  
واذا وجد انسان ليس له فكرة ، وليس له عقل يفسر عاطفته ،  
وليس له حس بالمعاني .. فهو لا يكون حيوانا ، بل يكون انسانا  
مريضا ..

وقد عرف مرضها عندما عرف قصتها :

كانت في طفولتها أشبه بالولد .. لم يكن فيها شيء يدل على  
انها انثى .. كانت سميئة قوية ، وكان وجهها منتفخا أشبه  
بكرة القدم ، ليس فيه خطوط تبين ملامحه أو ترسم مفاتنه ،  
وكان « النمش » ينتشر فيه كأنه وجه المنخل وكانت رقبتها  
قصيرة حتى يخيل اليك أن رأسها ملتصق بكتفها ..

ولو رأيت صورتها في تلك الأيام ، لما عرفتها اليوم ، بعد أن رُق عودها فبرزت مفاتنه ، ورسم الشباب فوق وجهها خطوطا ، فأبرز وجنتيها العاليتين كشمري التفاح ، وحدد أنفها الأنيق ، وغمس شفيتها في ماء الورد ثم أطلق فيهما الحياة فارتعشتا متلهفتين الى القبل ، كما اختفى « النمش » من صفحتها ، ولم يعهد منه الا هذه الشامات الثلاث التي تحدد الطريق الى شفيتها

\*\*\*

وكان لها أربعة اخوة صبيان ، كانوا يعتبرونها « واحدا » منهم وكانت تعتبر نفسها « واحدا » بينهم .. لم يحاول أحد منهم أو من عائلتها أن يضع حدودا بين طبيعتها كأنثى ، وطبيعتهم كذكور .. فكانت تلعب نفس العابهم ، وتشاركهم أحداثهم ، وترتدى مثل ثيابهم ، بل كان يضمها معهم حمام واحد كلما حانت ساعة الاستحمام .. وكان يحدث هذا مع أصدقائهم أيضا .. فكانوا بعد أن ينتهوا من رياضتهم في ناديتهم يدخلون جميعا حماما واحدا ويقفون عرايا تحت « الدش » وهي بينهم كأنها منهم ، وكان طبيعتها مثل طبيعتهم دون أن يشر وجودها عارية ، - وهي في الحادية عشرة - لهفة أحدهم ، أو عاطفته ، أو شعوره بأن امامه كائنا مختارا صانه الله ، وصانته التقاليد من عيون الرجال ..

وهي نفسها لم تكن تحس بشيء .. لا بالخجل .. ولا بالاشمئزاز ولا بالرغبة أو الرهبة .. ولم تدفعها طبيعة تكوينها الجسماني الى مجرد التفكير أن لها دنيا خاصة يجب أن تعيش فيها بعيدا عن الدنيا التي يعيش فيها اخوتها الصبيان وأصدقائهم ، ولم تتساءل يوما لماذا لا تشاركها بقية الاناث هذه

الدنيا .. كانت تعيش في ظلام جنسى .. لا ترى شيئا ، ولا يحاول أحد ان يريها شيئا !

وقد ضمن لها هذا الظلام ، انها كانت على قدر كبير من القبح والخشونة وجفاف العاطفة .. القدر الذي لا يستثير شابا عندما تقف امامه عارية ، ولا يستثيرها عندما تجد نفسها بين رجال عرايا ..

وبدا العمر ينقلها من عام الى عام .. أصبحت في الرابعة عشرة ثم في الخامسة عشرة ، ثم في السادسة عشرة .. وبدأت غريزة الأنثى تضح في عروقها .. الغريزة التي سبكتها الطبيعة في دماء كل أنثى ولا تملك أى أنثى حياها الا أن تكبتها في عنف وقسوة الى أن يجمع الله بينها وبين رجلها .. ولكنها لم تفهم معنى لهذه الغريزة ، ولم يحاول أحد أن يفتح عينها أو يزيح الظلام من حولها .. كل ما حدث ، انها بدأت تلاحظ هذه الهمسات التي تدور بين الصبيان والبنات ، وهذه النظرات التي يتبادلونها في خفر وعلى استحياء ، وهذه اللمسات السريعة الساخنة التي تصل بينهم وتفرقهم ، وتبعدهم وتقربهم ..

\*\*\*

وبدأت تتساءل : لماذا لا يهمس صبي في أذنها ؟ ولماذا لا تتلقى هذه النظرات ولا تجيب بمثلها ؟ .. ولماذا لا يكون من نصيبها بعض هذه اللمسات التي تبدو رائعة تقطر لذة ونشوة ؟ ! .. وكانت تدعى الى الحفلات الراقصة .. ولم تكن تميل الى الرقص ، وكانت عندما ترقص تبدو كجندى يدب على الارض بقدميه في استعراض عسكري .. وكانت تفضل في هذه الحفلات أن تكتفى بمشاركة الصبيان حديثهم وشرابهم ولهوهم كأنها واحد منهم ، ولكنها بدأت

تطور ، وبدأت تلاحظ انه كلما عزفت الموسيقى انفض الفتیان من حولها ، وأداروا لها ظهورهم ، ثم التقط كل منهم فتاة ، وتركوها لواحد منهم ، يتلفت حوالیه فاذا لم يجد فتاة أخرى ، تقدم اليها يطلبها للرقص ، واذا ما راقصها لا يحاول ان يهبها بعض هذه اللمسات أو بعض هذه الهمسات أو بعض هذه النظرات !!

وبدأت في تطورها ، ترقب صديقاتها البنات .. كيف يتزين ويتجملن ، وكيف يصفن شعورهن ، وكيف يصبغن شفاههن بلون احمر باهت جميل يتناسب مع اعمارهن البكر ..

وبدأت تقف امام المرأة ، فعرفت لأول مرة انها ليست جميلة ، وكرهت هذا الوجه المنفوخ ، وهذا « النمش » الاسود الكريه ، وهذا الجسد المكتنز السمين .. وقد حاولت ان تتجمل امام المرأة ، حاولت ان تفعل ما تفعله البنات .. فكانت تتجمل على استحياء .. وكأنها ترتكب أمرا اذا ليس من طبيعتها ولا من تقاليد بنات جنسها .. وقد فشلت .. فشلت في ان تبدو جميلة بينها وبين مرآتها ..

\*\*\*

وتكونت في اغوارها عقدة نفسية مركبة نتيجة لهذا النقص الذي بدأت تحس به ، وقد حاولت - دون ان تتعمد - ان تغلب على هذا النقص بتفوقها في الالعاب الرياضية .. فكانت بطله في التنس ، وبطله في الانزلاق ، وبطله في السباحة ، وبطله في البنج بنج .. وكانت تذهب الى ناديها الرياضي كل صباح لتبقى في ملاعبه حتى المساء تمارس تمريناتها في قسوة وعنف انتظارا ليوم المباراة ..

وفي المباريات كانت تقتل نفسها في سبيل الفوز . لم تكن

تسمح لفتاة أخرى ان تفوز عليها .. فهذا الميدان هو ميدانها وحدها ، دون كل البنات .. هو الميدان الذي تستأثر فيه بانظار كل الفتیان ، ولهفتهم ، وتصفيقهم وهتافهم .. ولم يكن يهمها ان تفوز بالجائزة قدر ما كان يهمها ان تفوز بهذه الانظار ، وهذه الالهفة ، وهذا التصفيق .. كانت تشعر ساعتئذ انها اهم من كل البنات الأخريات .. وانهن يغرن منها ويحسدنها ، وكان هذا يعوضها عن بعض ما تشعر به نحوهن من غيرة وحسد كلما رأت واحدة منهن ويجانبها شاب يهمس في أذنها ، ويضغط على يدها ، ويدفئها بعينيه ..

كان هذا هو حالها يوم التقت بأول رجل في حياتها ..

كان فتى ايطاليا أفاقا في الثامنة عشرة من عمره ، يعيش عائلة على اب يمتلك محل بقالة في الاسكندرية ..

\*\*\*

ولم يكن يعرفها عندما التقى بها في احدى هذه الحفلات الراقصة ، ولكنه كان يعرف اسم عائلتها العريض ، وثروة أبيها المضارب الكبير في البورصة .. وقد جذبته اليها كل ذلك ، ولم يكن فيها ما يجذبه غير ذلك ، فتقدم يطلبها للرقص !!

والاول مرة ترى فتى يختارها هي وحدها من بين كل البنات ..

والاول مرة تحس بذراع رجل يضغط على خصرها في تعمد له معنى .. وان لم تفهم له معنى !

والاول مرة ترى عينين تنظران اليها في رغبة مثيرة ، وان لم تعرف فيم الرغبة وماذا يشير منها ؟!

والاول مرة تشعر بوجه يلتصق بوجهها ويهمس في أذنها ، وان لم تستطع ان تفسر هذه الهمسات ولا هذه الأنفاس !

ورقص معها طول الليل ..

واحست بالزهو .. لم تحس بشيء الا بالزهو .. لقد أصبح لها رجل يسعى اليها ويحيطها باهتمامه .. لم يعد ينقصها شيء .. انها كباقي البنات .. انها ليست قبيحة .. وليست مهملة .. وليست صبيبا من الصبيان ! !

وعندما طلب اليها ان تحدد له موعد لقاء ، كادت ترتفع عن الأرض فرحا .. فقد كانت تقابل جميع الفتيان ، ولكنها لم تكن تقابل احدا منهم على موعد ، الا اذا كان موعدا للعب التنس او البنج بنج .. وهذا الفتى لا يريد ان يلعب التنس او البنج بنج ، انه يريدنا لنفسها .. ولم تكن تدرى ما يريد ان يصنع بها ! ! ..

كان اول موعد غرام في حياتها .. وتم كل شيء في بساطة ، وكانه كان دعوة لتناول طعام شهى ! لقد صحبها الى بيت .. وتناولوا بعض كؤوس من خمر رخيص .. ثم اخذها بين ذراعيه .. وقبلها عشرات القبل .. ثم أطفأ النور ..

وقامت من بين ذراعيه امرأة !!

\*\*\*

ولم تشعر انها ارتكبت اثما .. ولم تشعر انها فقدت شيئا تحاسبه او تحاسب نفسها عليه ، فقد كانت تعتقد ان هذا هو ما يحدث بين كل فتى وفتاة ، وان هذا هو الحب ! !

ما هو الحب ؟ !

ان احدا لم يحدثها عنه .. وكل ما تعرفه عنه رآته بعينها .. رآته بين الفتيات والفتيان في ملاعب النادى والحفلات الساحرة ، وراته في الافلام السينمائية ، وراته في الكتب التي

قراتها بعينها دون ان يساعدها خيالها على تفهم ما بين سطورها ..

ولكن احدا لم يقل لها ماذا يمكن ان يحدث عندما يصحب الفتى فتاته الى بيت ، ويتناولوا سويا كؤوسا من الخمر الرخيص ثم يأخذها بين ذراعيه ، وقبلها عشرات القبل ، ثم يطفىء النور؟ ! ..

هل كل هذا يببحه الحب ؟ وهل كان يجب ان تذهب معه الى هذا البيت ؟ ! .. وهذا الجسد ؟ ! ..

ما هي قيمته ، وما هو المحرم منه ، وما هو المباح ؟ !

ان مريبتها السورية العجوز لم تحدثها يوما عن جسدها لتصونه ، وامها لم تبصرها يوما بان لهذا الجسد قيمة يضمن بها الا امام الله .. واخوتها واصدقاؤها كانوا يعتبرون جسدها مضربا لكرة التنس ، او مجدافا للسباحة ، او ساقا تقف به على قبقاب الانزلاق ، ولم يحاول واحد منهم ان يعتبر هذا الجسد جسدا اثنى فيعودها احترامه ، ويعودها ان تحفظه من الاثم ، وان تنقذه قبل ان يقتحمه رجل ..

\*\*\*

انها بريئة .. بريئة امام الله ويجب ان تكون بريئة امام الناس ..

انها ضحية الجهل ، وضحية انحلال الطبقة التي تعيش فيها ، وضحية ابيها الذي اهملها ، وضحية اناية الام التي تركتها للصبية ، وضحية الاخوة الاغبياء الذين تركوها بينهم تتجرد من حياتها ومن انوثتها ، ومن ضعفها التقليدى .. هذا الضعف الذي يهب كل امرأة القوة على المقاومة ..

ولكنها لم تشعر انها كانت ضحية .. كانت لا تزال في الظلام ..  
وكانت تعتقد ان ما حدث لها لا يعدو أن يكون أمرا عاديا بين كل  
فتى وفتاة ..

وكان عليها ان تشترك في اليوم التالي في مباراة لبطولة  
السباحة .. وكان النادي يعلق عليها املا كبيرا للفوز على النوادي  
الاخرى ، بل كانت كل أمل النادي  
ولكنها هزمت ..

ولم تجد صرخات مدربها ، ولا هتاف الجمهور وتشجيعه ،  
فقد كانت تضرب الماء بذراعين مسترختين ، وساقين مفككتين ..  
ثم انها لم تعد تتلف الى هتاف الجمهور ، ما دامت قد وجدت  
رجلا يهتف لها وحدها ، ولم يعد يهمها أن تفوز عليها فتاة أخرى  
بالبطولة ما دامت لن تفوز عليها في فتاها

\*\*\*

وانتهت حياتها كبطلة رياضية ..

وبدأت حياتها كأثى ضالة بين الكلاب !!

والتصقت بهذا الفتى الإيطالى عامين كاملين ..

انه فتى منحل يؤمن بالمبادئ الوجودية ، لا على انها مبادئ  
فلسفية لها نظريات ولها أهداف ، وتقلب كيان الفرد على كيان  
المجتمع ، بل يؤمن بها هذا الايمان السطحي المنتشر بين الطبقة  
المنحلة من الجيل الجديد ، والذي يتخذونه ذريعة يبررون بها  
فسقهم وانحلالهم وتهورهم .. ان كلا منهم يعطى لنفسه الحق  
في ان يفعل ما يشاء وأن يبدو كما يشاء ، وأن يحدد ما هو الخير  
وما هو الشر ، وما هو الحق وما هو الباطل ، ويعتقد ان الحرية  
هى الإباحية ، وان التحرر من سيطرة التقاليد ، هو التحرر من  
النظام الاجتماعى ومن الدين ومن الحياء ومن الضمير .. !

هذا هو المبدأ الوجودى كما كان يفهمه هذا الفتى الإيطالى ،  
وقد اقنعها به .. ولم يكن يهمها أن تقتنع ، بل كان كل همها  
ان تفعل ما يريد أن يفعله وأن تنقاد له فى هوسه وجنونه  
واباحيته ..

وقد فهمت الحياة معه على أنها خمر ولهو وأجساد تلتصق ،  
فكان يجرها وراءه الى الحانات القذرة ليملاً أمعاءها بأردأ أنواع  
الخمور ، ويسحبها الى نوادى القمار الرخيص لتجلس بجانبه  
حتى ينقضى الليل . ثم يسحبها الى بيت ليهلك جسدها بين  
ذراعيه ..

وكانت فى كل ذلك لا تحس الا احساسا ماديا محضا .. كانت  
تحس بالخمير ، وتحس بالاكل ، وتحس بحاجة جسدها اليه ..  
فلم يحاول هذا الفتى أن يضع شيئا فى رأسها أو فى قلبها .. لم  
يحاول أن يفسر لها معنى الخمر ، أو معنى الموسيقى التى يرقصان  
على أنغامها ، أو معنى الالتصاق به .. كان كل شيء يفعلانه ليس  
له فى تقديرهما الا تقدير الآلة الصماء التى تدور بلا وعى وبلا  
مبدأ ، وبلا روح ، وتتحدى بضجيجها صوت الله ، وأصوات  
الملائكة ، وصوت الإنسانية

وازدادت التصاقا به .. لقد أصبح بالنسبة لها شيئا ضروريا  
ضرورة مادية كالاكل والشرب .. ولم تكن تتصور أنها تستطيع  
أن تقضى ليلة دون أن تشبع جسدها منه ، كما لم تتصور أنها  
تستطيع أن تقضى ليلة دون تناول طعام العشاء ! ..

\*\*\*

وقد أهين هذا الجسد المسكين بين ذراعى هذا الفتى ، وأصيب  
بتبلد مقيت فى احساسه .. فقد كان الفتى مصابا بشذوذ فى  
تصرفاته يسمونه طبيا « بالساذيزم » . فكان اذا ما اختلى بها



مزق الثوب عنها بأيد محمومة ، ثم ينهال عليها ضربا بأكف مجنونة ، وينشب أظافره وأسنانه في لحمها حتى يرى اللحم يصبق الدم ، فتلتع عيناه ببريق مخيف مهووس .. الى ان يهدأ فوق صدرها ! ..

ولم تعرف ان فتاها مريض بهذا الشذوذ ، بل اعتقدت ان كل الفتيان هكذا ، وان نصيبها منه هو نصيب كل فتاة من فتاها .. فتحملته بحكم العادة ، واصبحت لا تحس الا بهذه الضربات وهذه الاظافر والأسنان .. فكان لا يكفى - حتى بعدما كبرت - ان تمر بأصابعك فوق وجنتيها لتحس بحنانك ، بل كان يجب ان تصفمها ، وكان لا يكفى ان تقبلها بشفتيك بل يجب ان تقبلها بأسنانك ، ولا يكفى ان تداعب خصلات شعرها بل يجب ان تجذب هذه الخصلات بعنف حتى توقعها على الأرض ، فتحس انك رجلها ! ..

وهكذا أصبحت باردة .. بليدة .. منحلة .. ذات حس حيوانى شره ..

\*\*\*

وقد تحركت عائلتها ، ولكنها تحركت بعد فوات الأوان .. لم يستطع أبوها أو أمها أو واحد من اخوتها ، ان يمنع هذا الفتى عنها ، أو يمنعها عن الفتى .. فتركوها له ، معتقدين ان مبادئ التربية الحديثة ، تقضى بأن تترك التجربة وحدها تعلم الأبناء معانى الحياة ! ..

كانت تعود مخمورة ، فلا يحاسبها احد !!

كانت تعود مع الفجر ، وأحيانا لا تعود مدى أيام فلا يسألها احد اين كنت ؛

ولكنها عندما بدأت تسرف في طلب النقود بدأوا يحاسبونها !

كانت تريد النقود لتشبع رغبات فتاها ، وتدفع له ثمن الخمر،

وخسائر القمار ، وأجر البيت الذى يقضيان فيه لياليهما .. وكانت تعلم انها اذا عادت اليه بلا نقود فلن يمنحها ليلها ، وسيفر منها الى حيث يجد قمارا ، وخمرا لا يدفع ثمنه ، فكانت تلج على أبيها وأمها وأخوتها وتثور وتذل نفسها في سبيل بعض المال ، فلما غلوا أيديهم عنها ، بدأت تسرق .. سرقت الحلوى ، والفضيات ، بل سرقت أيضا نقود مريبتها العجوز

\*\*\*

ولم تكن تعرف ان هذه هى السرقة بعينها ، كانت تعتقد ان ما تأخذه حق من حقوقها ، فان احدا لم يعلمها الأمانة ، ولم تكن في حاجة الى الامانة ، لانها لا تخشى عائلتها ، ولا تخشى البوليس، ولا تخشى القانون .. انها تأخذ الحلوى وتعتقد انها حق لها ، وأبوها يأخذ أموال الناس في مضاربات البورصة ويعتقد انها حق له ، وأمها تأخذ نقود أبيها وتشتري بها العشاق وتعتقد ان هذا حق لها .. فلماذا تلومونها هى وحدها ؟ لماذا لا تلومون الوسط الاجتماعى الذى نشأت فيه ؟ ولماذا لا تلومون هذه المبادئ والمثل العليا التى لم تعد سوى أدوات نلجأ اليها وقت الحاجة ، فان لم نحتج اليها أو اذا تعارضت مع رغباتنا تناسيناها !؟

ولكن هذا المورد الذى لجأت اليه لم يستمر طويلا ، فقد احتاطت العائلة وأغلقت جميع الابواب دون يديها

ولجأت الى مورد آخر ، فكانت تذهب الى المحال الكبرى وتشتري منها بضائع ثم ترسل بفاتورة الحساب الى والدها ، ثم تعود وتبيع هذه البضائع فى المحلات الوضيعة التى تتجر فى المسرقات .. !

وكان الفتى الإيطالى هو الذى يشرف على عملية البيع والشراء . ولكن الأب الحريص قطع عليه الطريق ، فأبلغ جميع المحال انه

يودع جسدها .. الذى خربه وقتل فيه الانسان ليطلق منه  
الحيوان ! ..

وكادت تجن .. لا لأنها فقدت فتاها ، بل لأنها فقدت طعام  
العشاء .. طعام جسدها .. طعام الحيوان الذى يعوى فى عروقتها  
كل مساء .. فلم يكن الفتى لها الا هذا الطعام ، ولم يعطها من  
نفسه الا اشباع جسدها واسكات هذا العواء

ودارت تبحث عن طعام عشائها .. كل ليلة طعام جديد  
وصنف جديد ! ..

\*\*\*

وكان الأمر سهلا بعد أن تفتت وأصبحت جميلة فانتة ،  
فانضمت الى موكب الحفلات الراقية المأجنة وآنوادى الكبرى  
تسكرو وتعربد وتختار فتى فى آخر الليل يقدم لها طعام جسدها ..  
ولم تحاول أن تحتفظ بأحد هؤلاء الفتيان لأكثر من ليلة ،  
ولم يحاول واحد منهم أن يحتفظ بها ، فانها لم تكن تحاول أن  
تعطى ! أو تطلب أكثر من الجسد ولم تكن تعتقد انها تملك شيئا  
تعطيه أو تطالب به أكثر من الجسد .. لم تكن تحسب حسابا  
للعقل أو القلب .. ولم تكن تعرف ما هو الحب ، وانه أسمى من  
الجسد .. انه الروح .. انه الحنان ، انه الفكرة ، انه المعنى ،  
انه الانسانية .. لم تكن تعرف أو تفهم شيئا من هذا ! ! ..

وقبلها الناس كما هى ، لم يحاول أحد أن يصلحها ، أو  
يعالجها ، أو يفتح عينيها .. تركوها بينهم ككنكة تطوف بهم ،  
أو لعبة يدورون بها وتدور بهم ، وكانوا يعلمون شذوذها وشرها  
فيتندرون بها فى مجالسهم .. ماذا فعلت هذا المساء مع هذا  
الفتى ، وماذا كان بينها وبين الآخر فى الليلة الاخرى !!  
لم يكن أحد يحترمها كفتاة لها اسم ، ولها ثروة أبيها ، ولها  
فتنة ..

لن يدفع اية فاتورة حساب ترسل عن مشتريات ابنته ! ! ..  
ولجات الابنة المسكينة الى آخر الطريق ، فاشتغلت عاملة  
فى حانوت ازياء .. نفس الحانوت الذى تعودت هى وأمها أن  
تشتريا منه ثيابهما ..  
وكانت تشتغل عاملة وهى لا تزال مقيمة مع عائلتها التى تؤمن  
بأن التجربة هى خير مرب للأبناء !!

ومرت الشهور ، وهى تعمل وفتاها متعطل يبعثر ايامه على  
موائد الخمر والقمار ، وبين أحضانها ..

ولم تلاحظ خلال هذه الفترة الطويلة ، انها تفتت وأن الانهاك  
والشباب قد سويا جسدها وضمراه فأصبحت كتمثال عقربى  
لاله من آلهة الرومان ، وأن وجهها المنفوخ قد رق ونفض عنه  
الاكتناز فبدت خطوطه رائعة كأنها خطوط أسطورة من اساطير  
الجمال ..

لم تلاحظ انها أصبحت فتنة ، وأن العيون أصبحت تلاحقها  
وتتمناها وتنادبها ، وانها تستطيع اليوم أن تستبدل فتاها بخير  
منه ، وأرقى وأبقى ..

\*\*\*

لم تلاحظ الا أن نظرها بدأ يضعف ويبهت ، نتيجة للاسراف  
.. الاسراف فى كل شيء . فلجات الى طبيب أوصى لها بنظارة  
طبية .. وكانت نظارة سوداء !

وفجأة اختفى الفتى الايطالى من حياتها ..  
اختفى بنفس البساطة التى ظهر بها منذ عامين عندما تقدم  
اليها لأول مرة يطلبها للرقص  
سافر الى باريس ليقيم هناك حيث المجال أوسع لنزواته  
وشذوذه ، ولم يكلف نفسه مشقة أن يودعها .. أو على الأصح ..



هل يمكنه ان يحب هذا الحيوان الجميل .. هذا « الشيء » ،  
البارد الذي لا يحس ؟ ! ..  
لقد تركته في الليلة الاولى وهو يمقتها .. لم يكن يريد منها  
هذا الجسد الذي بذلته سهلا رخيصا حتى عاقته نفسه وأسقطته  
فجأة بين ذراعيه كتمثال جميل أوقعه زلزال فوق رأس صاحبه ..  
كان يريد منها حنانا في حديث هادئ ، وفي قبلة ناعمة تصل  
بين روحيهما قبل أن تصل بين شفاههما ..  
كان يريد ان يلتقى بها قبل ان يلتقى بجسدها ..  
ولكن لماذا يمقتها ؟!  
انها مريضة .. انها أضعف من نفسها .. وقد تركته ليلتها  
وفي عينيها نظرة مسكينة ذليلة .. نظرة طفل بريء تمكن منه  
الجوع حتى جف حلقة فصرخت الدموع فوق وجنتيه ..  
هذا الطفل لا يستحق المقت .. بل الحب !  
وفي اليوم التالي كان يسعى اليها وبين جفنيه سهاد طويل ..  
واستقبلته وفوق شفتيها ابتسامة واسعة .. ابتسامة الطفل  
وقد وجد امامه طبق طعامه المفضل ..

ولم يكن احد يحاول ان يربط نفسه بها ، ويتمناها كزوجة .  
وحتى من يحس منهم بلهفة نحوها قد تنطور الى حب ، كان  
يقاوم نفسه ، حتى لا يعرف عنه تعلقه بها ، فيتندر به زملاؤه ،  
ويتخذون من حبه سخريه ودعابة ، فقد كان لكل منهم ليلة معها  
تبيح له ان يحطم بها اى شعاع من الحب يتطرق الى قلب غيره  
أصبحت اقرب الى سلعة ..  
سلعة راقية ، يعترف بها المجتمع ويتيح لها ان تختلط بينات  
الناس ، ويحيطها برعايته ..  
سلعة بلا ثمن ..

لم تكن تطلب ثمن لياليتها ، ولم يكن احد يطلب منها ثمنا ،  
كما كان يفعل الفتى الإيطالي ، فلم تعد في حاجة الى تقود تشتري  
بها طعام جسدها ، فتركت عملها ، وعادت تعيش في كنف  
عائلتها ..  
وعندما عادت ، أهدت اليها مربيتها السورية العجوز ، هذا  
الصليب الذهب الذي يتوارى في صدرها المكتنز خجلا منها ومن  
عيون الناس ..



أهدت اليها الصليب ليحميها من الشيطان ، ويحميها من  
نفسها .. ولكن الصليب ظلم معها ، وتعذب فوق صدرها الى  
ان هداها اليه ..  
الى الرجل الذي وقف بجانبها خمس سنوات كاملة ، يعالج  
مرضها .. ويزيح أوساخ جسدها ، ليكشف عن قلبها الطيب ،  
وذهنها الراقى وروحها الصافي ..

ولم يكن يبدو عليها شيء مما حدث ليلة أمس .. لم ترتبك ، ولم تتلعثم ، ولم تتلجج يدها وهى تمددها لمصافحته .. وانما تصدت له بنظارتها السوداء ، والصليب الذهب يرقد بين طيات صدرها المكتنز متواريا عن عيون الناس ..

كانت هادئة .. ساذجة .. باردة ، وكأنها لم تكن عارية امامه ليلة أمس ، وكان آثار اظافرها الحادة لم تكن فوق رقبته ، وآثار أسنانها الشرهة لم تكن فوق شفثيه ..

\*\*\*

وشعر هو بالارتباك ، وتلعثم .. ماذا يريد منها ؟ وماذا يقول لها ؟ انها لا تنتظر منه ان يريد الا شيئا واحدا ، ولا تريد منه ان يقول الا ان يدعوها الى بيته !!

ولكنه يريد شيئا آخر ، ويجب ان يقول أشياء أخرى ودعاها الى العشاء .. قالت :

— أين ؟

— مكان هادىء بعيد .. المكس مثلا ..

— لا ليس المكس .. اننى لا أحب السمك !

— المهم أن نكون معا في مكان هادىء بعيد ..

— سنكون معا في مكان يقدم طعاما جيدا !

— لك أن تختارى بينى وبين الطعام الجيد ..

— انى أفضل أن أتناولك بعد العشاء !!

— انك تستطيعين أن تتناولينى في كل وقت وفي كل مكان .. اننى قلب وعقل ..

— .. وشفثان ؟!

وكانت تتكلم في بساطة ويسر ، ولم يكن يبدو عليها انها تتعمد اختيار اللفظ لتلف به معنى مقصودا ، انما كانت تعبر تعبيرا

سهلا صادقا عما تريد وعما تشتهى .. كانت تشتهى طعاما جيدا وكانت تشتهيه بعد تناول الطعام .. هذا كل ما فى الأمر !!

واقتربت بوجهها منه — وكانا واقفين أمام الكابين الذى تملكه عائلتها على شاطئ سىدى بشر ، والوقت وقت الغروب — ثم مدت يدها ونزعت النظارة السوداء ، فرأى عينيها تطلان على شفثيه فى نهم ، ومدت يدها الاخرى الى مؤخرة رأسه ، وجذبتة الى شفثيه .. وأحس بأسنانها تنغرز فى شفثيه ..

وضاقت أنفاسه من جديد ، ولكنه لم يستسلم كما استسلم ليلة الامس ، بل ابعداها عنه فى عنف ، وهو يصرخ :

— كفى ..

— ماذا ؟ الا تريد أن تقبلنى ؟!

\*\*\*

والتقط أنفاسه الى أن هدا ، وقال فى صوت ملؤه الحنان :  
— انى أريد أن أعيش العمر كله بين شفثيك .. ولكن .. ولكنك لن تفهمى !!

— لا أريد الآن أن أفهم . قبلنى .. قبلنى الآن !

ونظر فى عينيها طويلا .. عينيها المتوحشتين كعنى غجرية أرقها غياب رجلها بينما لحن من كمان بعيد يمزق أعصابها ويثير غرائزها ..

ثم انحنى فوق شفثيه فى خشوع كما ينحنى العابد فوق المحراب ، ولمسها بشفثيه لمسة الندى لأوراق الورد ..  
وابتعد عنها وهو لا يزال ينظر فى عينيها المتوحشتين ..  
فصرخت :

— ماذا حدث .. لماذا لم تقبلنى ؟!

— لقد قبلتك !

– متى؟! أسمى هذا قبرة!؟

– لقد حاولت أن ألقى بروحك وأن أصافح قلبك الطيب ..  
– ما دخل روجي وقلبي في شفتي .. انى أريد أن ألقى بك  
هنا ( وأشارت الى شفتيها )  
– أن شفتيك ترتعشان بدقات قلبك !  
– لا تكن متعبا .. انى أكره الفلسفة .. تعال وقبلنى كما  
يجب ! ..

– انك لا تريدن تقبيلى ، بل تريدن أكلى .. انى مجرد  
صنف من أصناف الطعام يؤكل بعد العشاء !!  
– إذن تعال أكلك ، ولو انى لم أتناول طعام العشاء بعد ! ..  
وكاد يجن .. هذه الصراحة الساذجة البريئة ، كيف يرد  
عليها ، وكيف يهرب منها ..  
انها ليست صراحة ..  
انها وقاحة ..

\*\*\*

ولكن لماذا يسميها « وقاحة » .. أن كل النساء يردن نفس  
الشيء ، ويسعين الى نفس الهدف ولكنن يختبئن وراء حياء  
مفتعل ووراء قضبان من تقاليد ضربها حولهن أجدادهن .. بل  
أن هذا الحياء المفتعل وهذه التقاليد تعين المرأة على الوصول الى  
هدفها بأسرع مما تعينها صراحة مثل هذه الفتاة المريضة ..  
انها ليست مريضة فحسب ، بل هى مغفلة أيضا .. وهى فى  
حاجة الى امرأة أخرى تعلمها كيف تتمتع وهى راغبة ، وكيف  
تقاوم وهى مستسلمة ، وكيف تضعف وهى القوية ، وكيف تبكى  
وهى القاتلة .. امرأة تعلمها كيف تكون أنثى تغلف نفسها بهذا  
الغلاف الرقيق الشفاف الذى يبهز عين الرجل ويمنع يديه ،

ويجذبه ليقوفه عند حد والى أن تحين الساعة !!

انها تريد .. وتريده عنيفا مجنوننا كالحيوان ..  
كم من فتاة تريد رجلا .. وتريده حيوانا عنيفا مجنوننا ..  
آلاف .. ملايين .. ولكنها هى وحدها المغفلة ، لأنها تكشف عن  
نفسها وعمما تريد بهذه الصراحة المقيتة ، وهذه البساطة المبتذلة  
وهو .. لماذا لا يكون حيوانا وينتهى ، ويربح هذا الجسد  
المظلوم المريض ..

ان فيه خصائص الحيوان .. كل الرجال حيوانات .. فلماذا  
يستثنى نفسه منهم ، وبطالها بأن تستثنيه ، ويصمم على أن  
يلتقى بروحها وقلبها ، قبل أن يلتقى بجسدها؟!  
انه مريض هو الآخر .. مريض بشيء يسمى الفكرة أو المعنى ..  
وقد أحبها كفكرة قبل أن يحبها كجسد .. أحب معناها قبل أن  
يحب مبنائها .. أحبها كقصة يعيش فيها لا كليلة يقضيها معها ..

\*\*\*

كلاهما مريض .. هى تعلقت بالحس الى درجة أن أصبحت  
حيوانا ينخفض عن مرتبة الانسان العادى ، وهو تعلق بالمعنى  
الى درجة أن أصبح فنانا يرتفع عن مرتبة الانسان ..  
كيف يرفعها اليه ، أو كيف يهوى اليها .. أم هل يلتقيان  
فى منتصف الطريق ؟  
لا يدري !! ..

ولكنه أصبح فى حاجة اليها ليشبع قلبه وذهنه ..  
وأصبحت فى حاجة اليه لتأكله ، وتطمع به جسدها .. ولذلك  
التقيا مرة ثانية فى المساء ..  
ولم يستطع أن يصحبها الى مكان هادى بعيد .. انما صحبها  
الى الملهى الذى تسهر فيه كل ليلة ، والذى يضم كل أصدقائها

وصديقاتها وافراد الطبقة الراقية التى تنتمى اليها ..  
انهم جميعا يعرفونه ، وقد راوه داخلا معها .. كان يعتقد ان  
هذا يكفى لينفضوا من حولها فهم يخافونه .. يخافون منه  
والخطوط الصريحة الجريئة التى يرسمهم بها .. ولكنها ما كادت  
تجلس معه حول مائدة حتى دعت اليها كل فتى وفتاة مرا بهما ..  
\* ووجد نفسه جالسا معها بين عشرة من الفتيان والفتيات ..  
كلهم من اثرياء التمصرين ! ! ..  
وهو لا يطيق صحبة التمصرين ، لا لدافع عنصرى ، بل لانهم  
صورة واضحة تمثل عيوب المجتمع كله ..

فالمجتمع المصرى ليس مجتمعا مصريا ، بل مجتمعا متمصرا ،  
مجتمعا يتكون من افراد لا يكونون فيما بينهم شعبا واحدا  
صحيحا له شخصيته وله تقاليده وله تراث متحد .. انهم افراد  
من الأتراك أو من الشوام أو العرب ، أو المغاربة .. أو .. أو ..  
وقد عاشوا في مصر عشرات السنين وربما عاش أجدادهم فيها  
لمئات السنين ورغم ذلك فلم يصبحوا بعد مصريين ، ولم يندمج  
بعضهم في بعض ، اندماجا كليا ليكونوا مجتمعا واحدا وشعبا  
واضح المعالم معروف الشخصية ..

\*\*\*

ان كلا منهم يفخر بأصله التركى ، أو بنسبه الى قريش ، أو  
بأعمامه الذين هاجروا منذ عشرات السنين من بيروت الى أمريكا !!  
وهم في تفاخرهم هذا يضحون بشخصيتهم ، ويضعون انفسهم  
بين حدود الدول ، فلا تركيا - مثلا - تعترف بهم وترد لهم  
تفاخرهم بها ، ولا هم يعترفون بمصر التى آوتهم والبستهم  
وغمرتهم بنعيمها ..

وهذا هو سر التفاوت الكبير فى الشعور والاحساس بين

المصريين ، وسر ضعف الشخصية الوطنية المصرية ، وسر المأسى  
التي تقع على رأس مصر كلما احتار مصيرها بين ايدى الرجال  
الذين جمعتهم من بين الدول وتبنتهم !  
وتبدو هذه الشخصية الضعيفة المفككة ، واضحة مجسمة بين

افراد الجيل الجديد من طبقة ثراة التمصرين ..  
انهم شخصيات حائرة بين الغرب والشرق ، وبين الحديث  
والقديم .. وبين الجدود الذين عاشوا فى لبنان - مثلا - والآباء  
الذين استوطنوا مصر ، والأعمام وبنى الخؤولة الذين حطوا  
الرحال فى البرازيل أو فى فرنسا ، أو فى الهند أو فى حضرموت ..  
انهم لا يؤمنون بالجنسية المصرية التى يحملونها ، لانهم حملوها  
لا ايمانا بمصر واعترافا بخيرها ، بل حماية لاموالهم واستغلالا  
للحقوق التى يمنحها الدستور والقانون لكل من ينتسب لمصر ..  
وإذا كان واحد منهم يحمل الجنسية الفرنسية أو الانجليزية  
- مثلا - فهو لا يؤمن بها ايضا ، لانه يؤمن فى قرارة نفسه انه  
ليس فرنسيا أو انجليزيا وانما حمل هذه الجنسية التجاء لقوى  
يحميه .. !

وهكذا ضاعت شخصيتهم ، عندما ضاع منهم بلدهم ، وضاعت  
عاطفتهم الوطنية ، وضاع شعورهم القومى ..  
وتركزت كل عواطفهم فى أشخاصهم وفيما يملكون .. فكل  
مكان يأوى اليه الواحد منهم ليس له معنى فى نفسه الا انه مكان  
يجمع منه المال ..

\*\*\*

ونظر الى الوجوه التى تحيط بالمائدة ثم نظر اليها ، فاذا بها  
اقرب اليهم منها اليه !!  
وجلس صامتا يستمع الى احاديثهم التافهة التى يتبادلونها

بالفرنسية حيناً والانجليزية حيناً ، وتطرق أذنيه لهم المنقولة  
« القديمة » المتبدلة ، فيحاول أن يشاركهم الضحك لاجمالة لهم  
ولا يستطيع ، ويرقب كلا منهم وهو يحاول أن يبدو أمريكياً أو  
فرنسياً أو انجليزياً فيمتعض وبشمتز ..  
ان هذه الطبقة من المتصرين متهمة دائماً بثقل ألم والظل ،  
والسبب أنهم عندما فقدوا شخصيتهم القومية قدسوا قوة  
الابتكار .. الابتكار في الحديث ، وابتكار النكتة ، وابتكار الراي ،  
وابتكار الأسلوب ، وأصبحوا مجرد مقلدين أو متبسين ، وجفت  
عواطفهم فلم تلتهب أو تضيء .. أنهم مجرد آلات تنطه لـصك  
التقود ! ! ..

وحاول أن يشغلها عنهم ، وعن كأسها التي تلهث غاوية رائحة  
بين المائدة وشفتيها .. فأخرج مفكرة صغيرة من جيبها وأخذ يكتب  
لها رسائل قصيرة ، ويطلبها بأن ترد عليه كتابة ، فأبكت تتلقى  
رسائله وترد عليها وهي تضحك معتقدة ان هذه لعبة جديدة من  
« ألعاب المائدة » !

كتب لها : « انى أغار على شفتيك من الكأس »  
فردت : « ان الكأس أطوع لى من شفتيك ! ! »  
وكتب لها : « انى أريدك لى وحدى »  
فردت : « انى لم التقي بك بعد !! »  
وكتب لها : « دعينى أحبك »  
ردت : « أين ومتى !! »  
وكتب : « سأحبك فى كل زمان ومكان »  
وردت : « لا يبدو عليك انك قوى الى هذا الحد !! »

\*\*\*

وقطع رسائلها فتى قام من حول المائدة وتقدم بطلبها للرقص ،

فقامت تراقصه وهي لا تزال تضحك على رسالتها الأخيرة ..  
لم تستأذنه لترقص مع غيره ، ولم تلتفت اليه معتذرة ، بل  
أدارت له ظهرها وألقت بجسدها بين ذراعى الشاب ليرقص به ..  
وتبعها بعينيه ، والفتى يضمها الى صدره ، ويتحسس كتفها  
بكفه ، ويلصق وجهه بوجهها ، ويفرغ أنفاسه فى أذنها ، ثم يطوف  
بشفتيه الى ان يصل الى عنقها .. وكان يعلم انها لا تحس بكل  
ذلك .. انها باردة بليدة كما هى دائماً .. ولكن الفتى ، لا بد  
انه يحس ، وانه يشعر بهذا الجسد الذى يضمه ، وهذا الكتف  
العارى الذى يتحسس ، وهذا الوجه الفاتن الذى يطوف فوقه  
بانفاسه ..

وشعر ان هذا الفتى يستخف به ويستخف بوجوده ، وبدأت  
النار تشتعل فى رأسه وتحرق أعصابه ، ولكنه كبت النار فى  
جوفه ، فليس له حق عليها ليمنعها من أن تراقص غيره ولا  
المجتمع الذى يحيط به يعتبر الرقص جريمة خلقية يؤاخذ  
عليها ..

\*\*\*

وعندما عادت الى المائدة ، لم تلاحظ انه غاضب ، ولم تحس  
بالنار التى يكتبها فى جوفه ، كل ما هنالك انه كان صامتا ،  
فانصرفت عنه الى كأسها وأصدقائها ، دون أن تسأله عن صمته  
ولما تقدم شاب آخر يطلبها للرقص ، نظر اليها فى رجاء وطلب  
اليها الا ترقص « تشيك - تو - تشيك » أى « خد الى خد » !  
ثم أمسك بها وصاح وكان خطراً خطيراً قد ظهر له :  
- « انتظرى » !

وفتح حقيبتها وأخرج منها قلم الكحل الذى تستعمله ، ورسم  
به - وهي مستسلمة - رسماً صغيراً فوق خدها .. ثم أفهمها

انها لو عادت بعد الرقص وقد زال هذا الوشم فسيعلم انها  
رقصت « خد الى خد » ، وسيغضب ، وربما فقدته الى  
الابد .. !

وضحك الجميع من حوله وضحكت معهم ، وقد ظنوا انها  
لعبة اخرى جديدة « من ألعاب المائدة » !  
ورقصت ..

وعندما عادت كان الوشم الاسود قد زال من فوق خدها  
وانتقلت آثاره الى خد الفتى الذى كان يراقصها  
وغضب ، ولكنها لم تفقده ، لا الى الابد ، ولا الى ساعة  
واحدة ..

وبدا يحاول ان يطفىء غضبه بكأسه ، لكن الخمر كانت  
وقودا لناره وأحس ان عينيه تنفثان اللهب ، وأن يديه قد دبت  
فيهما الحمى ، وان صدره يكاد ينفجر كالبركان ..

ولم يكن أحد ممن حوله يحس بهذه النار .. ولم يكن محتملا  
ان يدور بخلد واحد منهم ، ان هناك من يفار على هذه الفتاة  
الى هذا الحد .. هذه الفتاة بالذات التى كانت لكل منهم ليلة ،  
والتي لا تزال حقا مكتسبا لكل منهم ..

ولكنهم أحسوا بالنار التى تعتمل فى صدره ، عندما قام شاب  
ثالث يطلبها لترقص معه ، فما كادت تهتم بالنهوض لترتمى بين  
ذراعيه ، حتى أمسكها من رسفها فى قسوة عتيقة ، وصرخ  
« لا .. » ثم جذبها ليحفظها فوق مقعدها ..

\*\*\*

ووجم الجميع ..  
وتبادلوا نظرات متسائلة حائرة لا تنطق ولا تبين ..  
ربما اعتبره بعضهم فلاحا متوحشا حتى يصرخ هذه الصرخة ،

ويحرم على فتاة بجانبه ان ترقص .. ربما اعتبروه من الطبقة  
السفلى الشعبية التى تتمسح بمجتمعهم الراقى الذى لا يعترف  
بكثير من عواطف الشعب الحقى وذوى الجلايب ، وأولها  
عاطفة الفيرة على النساء .. ولكن واحدا منهم لم يعبر عما  
يعتقده فيه ، ولم يرد على صرخته ، حتى الشاب الذى قام للرقص  
عاد الى مكانه فى صمت ..

أما هى ، فقد انشقت شفتاها عن ابتسامة نشوى ، وانفتح  
أنفها كأنها تشم رائحة جسد يقترّب .. لقد أحست بشيء ..  
أحست بأصابعه وهى تضغط على رسفها فى قسوة وعنق ..  
هذا كل ما أحست به ، وكان كافيا ليحرك الحيوان الراقد فى  
عروقها ..

ودار بعينه المشتعلتين ثورة ، فى وجوه من حوله ، فلما  
رآهم وجوما صامتين ، مد يده فى جيبه وأخرج كل ما معه من  
نقود والذى بها فى وسط المائدة وقد اعتقد انها تكفى لدفع حسابه  
وحساب الفتاة ، ثم التفت اليها وقال لها فى صوت آمر حاول  
أن يكون خفيضا : « هيا بنا » وقبل أن تبسدى اعتراضا غرز  
أصابعه فى ذراعها وشدها وراءه .. وخرجا !

خرجا ، وقد عرف الجميع ليلتها ان الفتاة قد أصبح لها فتى  
يفار عليها ، ولا يقبل أن يسطو أحد عليها ، أو يزاحمه فيها ..

\*\*\*

وقد مرت شهور ، وهو يدور حولها كالجنون يطرد عنها  
الفتيان ، ويرسم لها خطواتها ويمزق أعصابه من أجلها ، حتى  
آمنت الدنيا بانها له وأنه يحبها .. هى وحدها التى لم تكن تعلم  
انها له ، ولم تكن تعلم أنه يحبها ولا انها تحبه لأنها لم تكن تعلم  
عن الحب إلا انه أجساد تلتصق ..



وكان آخر ما نالته منه هو جسده .. فقد كان يعلم طبيعتها ، وكان يعلم انه ليس بالنسبة لها الا طبق طعام تشتهيهِ ويوم تفرغ منه لن تعود اليه ، ويوم تناله سيكون يوم يفقدها .. فحاول ان يحرمها من جسده وحاول ان يحرم جسدها من غيره .. كان يريد ان يعذب هذا الجسد ويعوده الحرمان حتى يقتل الحيوان الذى يعيش فيه ، ويخمد العواء الذى ينطلق منه كل ليلة ، فيرق ويشف عن قلبها ويفرج عن روحها حبيس هذا اللحم البارد والعظام الفليضة ..

وكانت تعتقد عندما خرجت معه انه سيصحبها معه الى بيته ان كل ليلة من لياليها تنتهى دائما في بيت .. ولكنه سار بها في طريق الكورنيش .. سار بها طويلا ، دون ان يتكلم .. وكانت ترفع اليه وجهها بين كل خطوة وأخرى ، وفي عينيها تساؤل لا يجب عليه ، وكانت تتعجل خطاها لتعرف أين مصيرها ، بينما أنفاسها تطوف حوله في رغبة محمومة تدفع أصابعها لتضغط على ذراعه ، أو تمسح على ظهره ، أو تحسس وجهه ..

\*\*\*

ولما طال بهما الطريق ، اعتقدت انه لا يملك اجرة « تاكسى » يحملها ، فتوقفت عن السير لتقول له انها تحمل تقودا تكفى اجر سيارة ..

ولكنه جرّها بجانبه في عنف ، وعاد يسير بها صامتا .. وبدات تتملل ..

وبدات تقف بين كل خطوة وأخرى لتحتج وتشكو علو كعب حذاءها الذى يضايقها في خطواتها ..

ثم صرخت : « دعنى أمد حيث كنت ! »

وتوقف عن السير ، واستدار لها وقد أمسكها من كتفيها ، ونظر اليها وقد قفز قلبه يطل عليها من بين جفنيه ..

ولم تر قلبه ، ولكنها رأت عينيه ، وأحست بيديه فوق كتفيها ، فبدأت شفتاها ترتعشان وأنفاسها تتهدج ، وأسنانها المتحفة تلتمع في الظلام ، ومدت يدها تخلع نظارتها السوداء بينما تقترب بوجهها منه وتلصق صدرها بصدرة .. وأبعدها عنه سريعا ..

ثم جذبها ليسر بها من جديد وظل ممسكا بيدها في يده ، ضاغطا عليها في قسوة وكأنه يخاف ان تهرب منه ، ثم بدأ يتكلم بدأ يقص قصته .. طفولته المحرومة ، وشبابه المذبذبة ، ومبادئه المتطرفة ، وكفاحه المر ، وفقره الذى يفخر به ..

وكان يعلم انه يلقي بقصته في الهواء .. وانها لن تفهم منها حرفا ، ولن تهتز لفصل من فصولها ، ولن تشاركه ماضيه ولا حاضره ولا مستقبله ..

لكنه كان يريد ان يسرد قصته في هذه الساعة بالذات ربما لنفسه .. فقصته وحدها هى التى تريح أعصابه ، لأنها كل ما يملك في هذه الدنيا ، ولانه كتبها بنفسه .. كل حرف فيها وكل كلمة ..

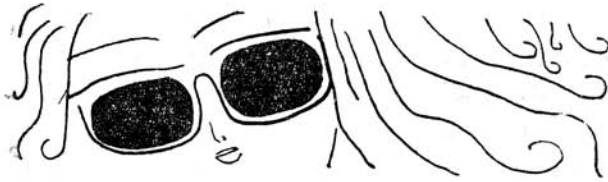
\*\*\*

وكانت تهز رأسها في مقاطع حديثه وتزوم .. لمجرد المجاملة .. ثم توقفت عن هز رأسها وعن الزوم ، وبدات تجر ساقها تعباً من طول الطريق ، بينما دموع بطيئة بدأت تنحدر في تراخ فوق خديها ..

وكانت الساعة الخامسة صباحا عندما انتهى من قصته ، وعندما أوصلهما الطريق الطويل الى بيتها ..

كان قد هد جسدها التعب .. كانت كطفل يتيم أنهكه التشرد  
والجوع ، يجره مسكين يستجدي به .. !  
كانت هى الطفل الجائع .. وكان هو المسكين الذى يستجدي  
الحب ..  
وتركها أمام بيتها دون وداع ، ودون أن تقوى حتى على  
الالتفات اليه ..

ورغم ذلك قابلها فى اليوم التالى ..  
قابلها ليصحبها الى الكنيسة ..



ولم تصدق عينيها عندما وقف بها أمام باب الكنيسة وهم  
بالدخول .. !

ماذا يريد أن يفعل بها فى هذا المكان ؟

لقد سبق لها أن جاءت الى الكنيسة عندما احتفل بزواج بعض  
صديقاتها ، وهى تعلم ان بعض الفتيات يترددن على الكنيسة  
فى أيام الاحاد ليعرضن أثوابهن الجديدة ويستعرضن الشباب ..  
ولكن ما جدوى حضورها اليوم ؟ .. ان واحدة من صديقاتها  
لا يحتفل بزواجها ، واليوم ليس يوم أحد ، ولا هى تريد أن  
تعرض ثوبا جديدا أو تستعرض الشباب .. ثم انها تعلم انه  
مسلم وليس مسيحيا .. فلماذا جاء بها الى هنا .. هذا المجنون؟  
واستقبلهما البهو الكبير الصامت ، ولقهما الهدوء الجميل  
المريح ، وغاصا فى الظلال الباهتة التى تطلقها النوافذ الملونة ،  
وانتحي بها مقعدا قصيا بجوار عمود ضخم يقف فى روعة وكبرياء  
كأنه عصب الدنيا ..

وهمست فى صوت محشر تخنقه الرهبة :  
- ماذا نفعل هنا ؟ ..

— اغمضى عينيك ، وستعلمين ! ..

واغمض عينيه قبل أن تغمض عينيهما ، وأطلق روحه تبحث عن ربه ليلتمس منه السكينة والراحة ، بينما انغام هادئة وهمية كتراتيل الملائكة تترفه نحو النور .. نور الايمان بالمجهول .. نور ينبثق من الظلام الذى يحيط بالبشر منذ الأبد وهم يبحثون عن الحقيقة والحق ..

ولم تكن المرة الأولى التى يتردد فيها على بيوت الله ، فقد كان من عادته كلما ضاق روحه بجسده ، وكلما ضعفت أعصابه أمام كفاحه ، وكلما تطرق الحقد والفيظ الى صدره ، أن يهرع الى هناك .. الى جامع أو الى كنيسة ، فكلاهما بيت طاهر من آثار معركة الدنيا ، وفي كليهما يخلص الناس لله ويحسون بحقارة شأنهم أمام الخالق الغفور الرحيم .. لم يكن يصلى وإنما كان يقبع صامتا منزويا فى ركن بعيد ، ويتلو قصته فى صدره ثم يحاسب نفسه عليها أمام الله .. يحاسب نفسه على كل سطر منها ، وحسابه دائما عسير ، وعقابه الذى يوقعه على نفسه أشد عسرا ..

وفتح عينيه لينظر إليها .. لم تكن مغمضة العينين ، ولم يكن يبدو عليها الخشوع أو الخشية ، وإنما كانت ساهمة تنظر الى بعيد ..

وسألها فى صوت هادئ حنون :

— فبم تفكرين ؟ ..

— فى هذا القسيس ! ..

وأشارت بأصبعها الى قس شاب ، غض الإهاب ، يفيض وجهه بالظهر ، وينتثر شعر ذهبى اللون فوق رأسه كأنه هالة الملائكة .. وكان راكعا أمام الهيكل ذائبا فى صلاة هامة ، بينما الجسد

القانى مصلوب أمامه ، وروح القدس يحوم من حوله ..

وقطب حاجبيه متسانلا :

— بم يوحى اليك هذا القس ؟ ..

— خسارة .. خسارة كبيرة .. هذا الشباب ، وهذا

الجمال ، يسجن هكذا داخل أسوار الكنيسة ! !

— انه سعيد .. أسعد منك ومنى ! !

— من قال هذا ؟ .. كيف يكون سعيدا وهو محرم عليه الاتصال

بامرأة ، ومحرم عليه أن يرقص ، ومحرم عليه أن يشرب كأسا

ومحرم عليه أن يكون رجلا ؟ !

— ان أحدا لم يحرم عليه شيئا ، ولكنه زهد فى كل شيء ! !

— ولماذا أحرم أنا منه ؟ ! ..

قالتها وهى تضيف على شفيتها بأسنانها ، وصدرها يهتز فى

عنف فوق ضربات قلبها ، وكأنها تقاوم رغبة وحشية فى أن تهب

من مقعدها لتلتهم القس وتعتصره بين ذراعيها ..

\*\*\*

وتحركت كفه لتصفعها .. لم يكن يعتقد أن تبقى حيوانا كما

هى حتى داخل الكنيسة ، ولم يكن يعتقد أن تتحرك شهيتها

الشرهة حتى لمراى قس شاب ..

ولكنه قبض كفه قبل أن تصل الى وجهها لتصفعها .. وتذكر

انها مريضة — أو هكذا كان يعتبرها — وقال فى هدوء وهو يحاول

أن يسيطر على أعصابه :

— انك لم تحرمى منه .. تستطيعين دائما أن تصلى الى قلبه

وروحه عندما تؤمنين بدعوته ..

— عدنا الى القلب والروح .. خبرنى بالله عليك .. اذا كان

كل ما فى الدنيا قلوب وأرواح فماذا يكون حالنا ؟ .. وكيف

تختار بين الشبان الاقوياء والعجائز المهدين ؟ .. وكيف نتخلص من اجسادنا ؟ .. ولماذا خلقنا الله ذكورا وانانا .. جنسين يشتهي كل منهما الآخر ؟ !

وابتسم قبل ان يجيبها .. ابتسم سعيدا .. لقد بدأت تتساءل وتناقش ، اى انها بدأت تفكر ، وبدأت تحاول ان تفهم .. وكانت من قبل لا تتساءل ولا تناقش ولا تحاول ان تفهم ، كانت حيوانا جميلا يأكل ويشرب ، ويشبع جسده ، ويدور كالآلة الصماء .. بلا مبدا ، وبلا ايمان ، وبلا هدف .. انها بدأت ترتفع عن مرتبة الحيوان والآلة لتكون انسانا له عقل ..

\*\*\*

ومد ذراعه ووضع يدا حانية فوق كتفها ، ونظر في عينيها ، ثم قال في صوت هامس ، وهو لا يزال محتفظا بابتسامته :  
- ان اجسادنا آلات يديرها وسيطر عليها القلب والعقل ، ويديرانها ليصلا الى هدف يؤمنان به .. فاذا فقد القلب والعقل سيطرتهما على الآلة ، او اذا لم يكن لهما هدف يؤمنان به ، دارت الآلة دون ان تنتج شيئا .. انك انسان لانك - مثلا - تريد ان توبا جميلا ابتكره لك انسان آخر .. وقد ابتكره بقلبه وعقله لا بجسده .. ولو لم يوجد هذا الانسان الاخر ، لكنت حيوانا او انسانا بدائيا لا يملك هذا الثوب الجميل .. وانت انسان لانك تأكلين بالشوكة والسكين طعاما مطهيا يقدم اليك في صحاف منمقة فوق مائدة منسقة ، ولو لم يوجد انسان فنان ذو قلب وعقل يبتكر الشوكة والسكين ، ويبتكر طهي الطعام ، لكنت الآن تأكلين باصابعك وعلى الارض ، لحما نيئا وربما كان لحما آدميا .. ان القلب والعقل هما اللذان صنعا الدنيا وهما اللذان يسيران بها ، وهما سبيل المتعة الحقيقية

واللذة القصوى .. اما الجسد فهو عبد لهما او هو الطريق منهما واليهما .. لماذا تفضلين شابا على آخر ، وتختارين واحدا من بين عشرات ؟ .. انهم جميعا من جنس واحد ، وقد يتساوون في حسن الهيئة والمنظر .. ولكن قلبك يختار واحدا فقط لانه يتجاوب معه ، ولانه يجد فيه اشباعا لعاطفته ، وقد يختاره العقل لانه يجد في هذا الشاب صدى لآرائه او لانه يحقق الاهداف التي يسعى اليها .. وقد يشترك القلب والعقل في اختيار الرجل الذي تفضلين عندما يجتمع فيه الايمان - اى العاطفة - والهدف .. ثم عندما تلتقين بهذا الرجل فانت لا تلتقين بجسده ، فلقاء الجسد لقاء عابر لا يدوم الا دوام المتعة الزائلة ، ولا يختلف فيه رجل عن رجل .. ولكنك تلتقين بقلبه وعقله وروحه ، وتلتقين بشخصيته المعنوية التي تحدد تصرفاته المنبعثة من هذا القلب وهذا العقل .. انك تلتقين بآرائه التي يعبر عنها بحديثه ، وتلتقين بمشاعره التي تعبر عنها عيناه وخلجات وجهه ، وتلتقين بماضيه وحاضره ومستقبله بما يوحيه اليك من فكر ..

\*\*\*

وسكت ، وخيل اليه انها تعاني صعوبة في تفهم ما يقول ، وان عينيها اختارتا خلف نظارتها السوداء ، وهما يتتبعان شفثيه ليلتقطا كلماته .. وسكتت برهة ، كأنها تحاول ان تفهم ما سمعته .. ثم صاحت فجأة صيحة خافتة ، وكأنها وجدت مفتاح حيرتها :

- والنتيجة .. النتيجة التي يصل اليها الرجل والمرأة ؟ ..  
- الحب !  
- وما هي آخرة الحب !! رجل وامرأة في فراش !! لا تنكر هذا ايضا ..

واستطردت :

- انى افضل ان اختصر الطريق لاصل الى نهايته مباشرة ! ..
- ليس للحب نهاية .. انه الحياة كلها ..
- وما هى الحياة ؟ .. رجال ونساء .. وماذا يريد الرجل من المرأة ؟ .. خبرنى ؟ ..
- انه يريد منها أن تجعله رجلا ! ..

\*\*\*

- والفتفت اليه وعلى شفيتها ابتسامه كأنها بطاقة دعوة ، وقالت فى صوت تنهافت نبراته :
- تعال معى ، وسأجعلك رجلا ! !
- ان الرجل يعنى كفاحا فى ظل مبدأ وفى سبيل هدف ..
- والمرأة هى التى تعينه على هذا الكفاح ، وتمده من خانها قسوة على نفسه ، ومن ضعفها قوة على أعدائه ، ومن رقتها خشونة ، ومن ...

- أليس من حقها أن تقبله مثلا ؟ ..

- ان القبله لقاء بين روحين .. و ..

ووضعت كفها على شفيتها لتسكته ، وقالت وهى تقرب وجهها :

- اذن دعنى التقى بروحك !

- اننا الآن فى لقاء مع الله وفى معبده ..

وأزاح كفها عن شفيتها ، وابتعد عن انفاسها التى تفتح وجهه ، ولكنها لاحقته قائلة :

- لا تعص الله فيما خلقنا له .. ألم تعلم بعد انى أريدك ؟ !

.. أريدك كما خلقنى الله وكما خلقك ! !

- ان الله خلقنا أرواحا ..

- واجسادا ! !

- كلاهما معا ..

- اذن خذنى روحا وجسدا ! !

- ولكنك لا تريدنى منى الا الجسد ! ..

- لا تدعنى أنتظر .. حرام أن تضيع الأيام فى كلام !

- سنتلقى يوما .. ولكنه ليس اليوم ! ..

وهبت واقفة وهى تزفر عن صدرها انفاس الضيق ، وقالت كأنها تصرخ : « دعنا نخرج من هنا » ..

وخرجا من بيت الله الى بيت الناس .. الى الدنيا ! ..

ولم تنس قبل خروجها أن تلتفت الى القس الشاب ، وتسلمت عليه نظارتها السوداء برهة ، ثم تتمم وهى تهز رأسها فى حسرة : « خسارة .. خسارة كبرى ! !

ومن يومها تعودت أن تناقشه ..

\*\*\*

وكشف النقاش عن ذهنها الصافي ، الذى عاش بليدا خاملا يردد الأحاديث التافهة ، والنكات « القديمة » المتدلة ، ويتوارى رعبا أمام جسدها الشره ..

كانت فى نقاشها تدافع عن حق جسدها فى جسده ، وكان

يدافع عن حق روحها وقلبيها .. وفتحت المناقشة أمامها أبوابا

مغلقة من اسرار الحياة النظيفة ، وبدأت تقرا ، وتقرأ فى فهم ..

قرات فى الشعر ، وفى التاريخ ، وفى الفلسفة ، وفى الأدب

القصصى .. ولكنها ظلت دائما تقاوم لتتنصر للجسد ..

واستمر نقاشهما شهورا .. كانا يتقابلان كل يوم ، وكانا

يقضيان الليل حتى ساعات الفجر فى بيته .. لقد ملت الملاهى ،

وملت الرقص ، وملت هذه الضوضاء .. ووجدت فى الجلوس

اليه متعة ، وعرفت ان الحديث فن جميل ، وان النكتة هي ببارقة ذهن وليست جملة مرددة مبتذلة ..

وعرفت أولا ان بيته ليس مجرد فراش .. فلقد حرمها من فراشه ، كما حرمها من كؤوس الخمر الا ما يتصادف وجوده ، وحرمها من الاكل الكثير الا ما تستطيع نقوده ان توفره لها ..  
كانا يجلسان أحدهما الى الآخر ليلا طويلا ، يلهيها بحديثه وقصصه ، ويجرها الى مناقشته ، وكان الحيوان الراقد في عروقتها يغلها أحيانا فتضيق بالحديث والمناقشة ، وينطلق العواء من صدرها ، فتبه في وجهه تطالبه بحق جسدها ، وتمتد ذراعيها لتعتصره بينهما وتخلع نظارتها السوداء حتى لا ترى الا ما تتحسسه بأصابعها ، ويتأرجح الصليب المظلوم حول عنقها تأثرا يريد أن يفر منها ، ولكنه كان يقاوم كل ذلك وكان يصدها في حزم وقسوة ، ويلهيها عن نفسه حتى تهدأ ، ولم تكن تهدأ الا اذا سألت الدموع فوق وجنتيها ..

\*\*\*

ولم تكن مقاومتها باليسيرة عليه .. فقد كان يريد كما تريد .. وكان يقاوم نفسه كما يقاومها .. وكان سنده في مقاومتها ، خوفه من هذا الحيوان الذي يعوى في صدرها ..

كان يخافه ، ويخاف هذه الأظافر التي مزقت جلده عندما التقى به - بهذا الحيوان - لأول مرة .. ويخاف هذه الاسنان التي تصطك بأسنانه وتلتهم شفتيه ، فكان يجب أن يقتل الحيوان فيها لتخلص له بشر! سويا ، وجسدا ينتشى بركة الروح ، وطيبة القلب ، وسمو العقل ..

وعلى مر الأيام تعودت أن تقاوم نفسها كما يقاومها .. فكان كلما ثار الحيوان في عروقتها ، ارتفعت دماء خجلة في وجنتيها ،

وكبتت رغبته الجاحمة وهي تضغط بأصابعها المحمومة على ذراعيها ..

كانت تخجل منه ، ظنا منها انه لا يريد لها ، ثم بدأت تخجل من نفسها عندما آمنت انها بشر وليست حيوانا .. وانها أنثى وأن أول ما تتميز به الاناث هو فضيلة الحياء ..

وأصبح لها هدف ..  
كان هدفها ان تصبح كما يريد لها حتى تناله ، وحتى تصبح له ويصبح لها ..

وبدأت تقول له « أحبك » .. قائلتها أول مرة في جفاف وانطلاق كأنها تقول « أريدك » .. ثم بدأت تقولها في رقة ، وفي نبرات ناعمة تنبعث من قلب بدأ يتحرك بعد سبات طويل ..  
وكانت تردد له أحيانا مقطعا من شعر « بول جيرالدي » في كتابه « انت وأنا » :

« أحبك .. أحبك .. أحبك .. »

« انى مجنونة بك .. »

« انى مجنونة .. انى اقول دائما نفس الكلمات :

« أحبك .. أحبك .. أحبك .. »

« هل تفهمنى ؟ ! .. »

\*\*\*

ولكن حتى كلمة « أحبك » حرمها عليها ، فهو يكره ان يقولها او يسمعها ..

ان الحب أقوى واقدس من ان يعبر عنه بكلمة توضع على طرف لسان ، انه عاطفة مقدسة تتمكن من القلب وتمتلك النفس حتى يعجز اللسان عن التعبير عنها ، انما تحسها في كل كلمة حتى لو لم تكن كلمة « أحبك » ، وتحسها في كل خجلة ، وفي كل

هزة رمشي ، وفي كل دمعة ، وفي كل ابتسامة .. انه عاطفة  
تطير بك حتى ليراك كل الناس طائرا دون أن تصرخ فيهم ليروك ..  
ولم تعد تقول له « أحبك » ..  
وأصبحت كلها حبا !!

ورغم ذلك لم يكن يثق فيها ، أو لم يثق في جسدها .. كان  
يعلم ان هذا الجسد سيخونه بمجرد أن يدير عنه عينيه .. فكان  
يشغل كل أيامها ودقائقها حتى لا تبتعد عنه .. ولكن حدث  
ما توقعه ..

فقد سافر يوما الى القاهرة لبعض شأنه ، وقضى فيها ليلة  
واحدة ، عاد بعدها الى الاسكندرية ، ليلتقى بها ويسألها في لهفة :  
- أين قضيت ليلتك ؟ ..

- التقيت بالرفاق القدماء في ملهى « الرومانس » ثم ...  
وترددت ، وارتعشت شفتاها ، كأنها لا تريد أن تقول ، فصرخ  
في وجهها :

- ثم ماذا ؟ ..

ورفعت اليه وجهها ، وحدتته من وراء نظارتها السوداء قائلة :  
- لقد ذهبت مع « فلان » الى بيته !!

- ماذا حدث هناك ؟ ..

- حدث ما كنت تخشاه !!

\*\*\*

وصرخ كالجنون يسبها ويلعنها ، وارتفعت ذراعاها في الهواء  
تنهال عليها بصفحات محمومة قاسية ، ثم أظلمت الدنيا في عينيه  
وأصبح كالثور الجريح الهائج ، وامتدت أصابعه تقبض على  
خصلات شعرها في عنف حتى أوقعها على الأرض وانهال عليها  
ركلا بقدميه ..

وقد أخطأ ..

أخطأ خطأ كبيرا عندما فقد أعصابه .. فقد أيقظ الحيوان  
الذى كاد يموت في جسدها .. نفس الحيوان الذى كان يصحو  
كلما ضربها فتاها الأول الايطالى ، وكلما مزق جسدها بيديه  
واسنانه ..

لقد تيقظ الحيوان ، وبدأ جسدها يتلوى تحت الصفحات  
نشوان وكأنها أفعى حركها الدفاء ، بينما انسدلت جفونها فوق  
عينها لتنقلها الى دنيا من الجحيم المشوب ، وانفجرت شفتاها  
عن آهة مكتومة تنطق باللذة الكبرى ..

ومدت ذراعها نحو السماء كأنها تستغيث من عذاب ليس له  
آخر ، بينما لا تزال تتلوى وتعرض كل مكان من جسدها للصفع  
والركل .. ثم ارتفع جفناها عن عينين جائعتين نهمتين ، وأنشبت  
أظافرها في الهواء تبحث عن جسده ، واصطكت أسنانها تبحث  
عن شفتيه ..

ووافق لنفسه قبل أن تناله ..

وابتعد عنها حيث الصق ظهره بجدار بعيد ريشما يلتقط  
أنفاسه ..

وصرخت كالذئبة المسعورة : « لا تتركنى .. اضربنى ..  
اضربنى ايضا .. بقسوة » !!

وهبت من رقدتها حيث أوقعها على الأرض ، وحاولت أن  
تصل اليه ، ولكنه أمسك بها من ذراعها في قسوة ، وأخذ يهزها  
في الهواء بعنف .. حتى أفاقته من نوبتها ولم تفق الا وهى تبكى  
هذه هى .. تماما كما رآها فى أول ليلة التقى بها !!

ولكنها فى هذه المرة بكت طويلا .. وكانت تبكى على نفسها ،  
وفى دموعها استغفار ، وخجل وحياء ..

لقد أصبحت تعلم انها مريضة وانها في حاجة الى علاج طويل وصمت .. صمت اياما طويلة ..

وتعلم ان عقابها الوحيد لا يتعدى الصمت ، فقد كانت تضيق به حتى تفقد اعصابها .. وكانت تحاول بكل جوارحها ان تخرجه عن صمته .. كانت تسأله فلا يجيب الا بهزات من راسه ، وكانت تقرأ له في كتاب فلا يستمع ، وكانت تكتب له - وهى بجانبه - فلا يرد على رسائلها ، وتشتري له الهدايا التى تعلم انه يفضلها فيهملها ولا يكون لها اثر الا كلمة : « متشكر » .. قصيرة هادئة .. ثم يلقى بالهدية جانبا ..

الى ان يعتقد انها نالت ما يكفيها من عقاب فيعود اليها رويدا رويدا .. حبيبا كما كان ..

ولم يعد يضربها .. لم يضربها قط خلال السنوات الخمس التى عاش فيها جبهما .. انما عودها احترامه .. احترامه لروحها وجسدها .. وعودها ان تطالب الناس باحترامها ، حتى بلغ من احترامها لنفسها ان قاطعت كل شاب التقت به في ماضيها ، قاطعت حتى اصدقاء طفولتها ، ومحيط عائلتها ..

ولم يعد يخشى ان يتعد عنها ، فانها هى نفسها أصبحت تخشى ان يتعد عنه .. لم تعد تشعر بالثقة فى نفسها ، ولم تعد تشعر بكيانها الجديد ، كيان الفتاة الطاهرة التى تؤمن بقلبها وعقلها : الا بجانبه .. فكان يصحو ليجدها فوق راسه ، ولا ينام الا بعد ان يوصلها الى بيتها ، وكانت دائما معه حتى عندما يغادر الإسكندرية متنقلا هنا وهناك ..

وعرفت عائلتها انها أحبته ، واطمانوا الى هذا الحب وان لم يرحبوا به ، فقد راوها تتغير وتنقلب الى فتاة عاقلة هادئة تفخر بها كل عائلة ..

ولكن اصدقاءه لم يطمئنا الى هذا الحب ، كانوا يخافون عليه منها .. يخافون على مستقبله من ماضيها ، ويخافون على مبادئه من مبادئها ، ويخافون على كفاحه من ان تخمدته انفاسها أو تضعفه صحبتها له .. وطالما حاولوا ان يفرقوا بينهما .. وما اكثر ما قالوا له ، وما قالوا لها ، ولكنهما ظلا معا دائما ، حتى عرفت به وعرف بها ..

ولم يكن أحد يدرى انها وحى كفاحه ، وان المعركة التى خاضها معها ليجعل منها فتاة طيبة ، هى نفس المعركة التى خاضها ليصلح من وطنه ، وان انتصاره على مرضها ، هو نفس النصر الذى ارتفع به حتى أصبح نائبا من نواب أمته ..

كانت المعركة بينه وبينها هى معركة بين المثالية والمادية ، وهى نفس المعركة التى اشترك فيها لينصر المثالية الوطنية على مادية اصحاب الاموال الذين يحكمون مصر ..

كان يحارب فيها البلادة والاستسلام ، وكان يحارب البلادة والاستسلام فى شعبه ..

كان يحارب فيها الجهل ، وكان يحارب الجهل فى بنى قومه ..

كان يحارب فيها ضعف وطنيتها ، وكان يحارب ضعف الوطنية فى المصريين كلهم ..

وهى لم تكن مصرية ، ولكنها ولدت فى مصر كما ولد فيها ابوها وجدها ، ثم اختارت العائلة ان تبقى « حماية » فرنسية بعد الفاء الامتيازات . . .

\*\*\*

ولم تكن تحس بعاطفة نحو فرنسا ، الا عاطفة اللفة التى تتحدثها ، رغم انها تحمل الجنسية الفرنسية ، ورغم ان لها شقيقين جندا فى جيش فرنسا الحر وقتلا .. قتلا فى سبيل



لا شيء يؤمنان به ، وبلا عاطفة تدفعهما الى الموت ، الا هذا الجواز الفرنسى الذى يحملانه ..

ولم تكن تحس بعاطفة نحو مصر ، رغم انها لا تملك شيئا الا ما تقتطعه من جسد مصر ، وليس لها من ماوى الا مصر ..

وبدا يقنعها بأن يكون لها وطن .. وأن يكون وطنها مصر .. فالوطن هو المكان الذى تطمئن قدمك فوق أرضه .. هو التراب الذى يضم قبر الأجداد ، ويحمل مهد الأبناء .. هو ذكريات الماضى ، وجهاد الحاضر ، وأمل المستقبل .. هو حيث تولد وحيث تعيش ، وحيث تموت ، وحيث تعود من غيبتك ..

وكان يدعوها أحيانا « جوليت » بعد أن قص عليها قصة مدام جوليت آدم ، السيدة الفرنسية التى آمنت بمصر وحقوق مصر ، فوفقت بجانب مصطفى كامل تمده بعونها وتدعو لمبادئه ، وتفرع النواقيس فى أنحاء العالم للإيمان بدعوته ..

وقص عليها قصة « أم عبد الله » :

« كان المصريون قد الفوا فى ثورة عام ١٩١٩ بوليسا وطنيا يسير مع المظاهرات يحفظ النظام فيها ، ويسعف الجرحى ، وينقل القتلى ، وأصدر الحاكم الانجليزى أمرا بإعدام كل من ينضم الى هذا البوليس الوطنى أو يقوم بعمله أو يحمل شارته .. فانقلب البوليس الوطنى الى بوليس سرى ..

وكان عبد الله طفلا فى العاشرة من عمره يقف بجوار باب بيته فى درب الجماميز وهو يحمل قلة ماء ، فقدمها للمتظاهرين ليرطبوا حناجرهم التى شققها الهتاف ، وليرطبوا النار التى أحالت صدورهم الى براكين .. وكان عمل عبد الله فى عرف الجنود الانجليز عملا يقوم به البوليس الوطنى .. فسددوا فوهات بنادقهم الى قلبه الطاهر .. وقتلوه !

وكانت أم عبد الله تظل من النافذة حين رأت جثة طفلها تجندل على الأرض ، فكتمت صرختها بين شفيتها ، والتقطت قلة ماء أخرى حملتها بين يديها ، ونزلت بها لتقف الى جانب المظاهرة تسقى المتظاهرين ، بينما أهل الحي يحملون وليدها الى داخل البيت .. ولم تكن المظاهرة قد انتهت عندما مرقت رصاصة ظالمة أخرى لتخترق قلب أم عبد الله ..

وقص عليها عشرات القصص الأخرى عن بطولات مصر .. قص عليها تاريخ مصر كله .. وما فعله الهكسوس ، والرومان ، والبطالسة ، والترك ، والماليك ، والفرنسيون ، والانجليز ، وما فعله بها المتمصرون ..

وقضى الليالى والأيام وهو يقنعها بأن شعب مصر ليس رعايا ، انما هو أطيّب الشعوب وأقربها الى المثالية .. شعب قضى الاجيال وهو يكافح فى سبيل حريته ، وفى سبيل حقه فى لقمة العيش .. ورغم ذلك لم يعمل الكفاح ولا الجهاد ولم يستسلم ، ولم يتنازل عن حريته ولا عن لقمته ، اللتين حرم منهما منذ آلاف السنين ، فالبذرة التى أنتبتة بذرة طيبة تثمر حتى فى الجفاف ، والجوهر الذى خلق منه يبرق حتى من تحت ركام الطين ..

وآمنت بمصر .. وكفرت بالجواز الفرنسى الذى تحمله .. ولم يكن الفضل كله له .. فقد حدث أن خسر والدها جزءا كبيرا من ثروته فى مضاربات البورصة ولم يستطع أن يعوضه .. وبدأت العائلة تقتصد فى معيشتها ، ولم يعد لها هذا الثراء العريض ، ولم تعد تستطيع هذا الاسراف ، ولا هذه المظاهر الفخمة التى عرفت بها .. وبدأت الفتاة تحس انها فقدت السلاح الوحيد الذى كان يحميها ويحمى عائلتها فى وجه الدنيا ..



٥

انه اول من يصفح عن ماضيها الذي لا ذنب لها فيه ، وأول من يقدر سموها ونبلها وطيبة قلبها ، وأول من يعترف بفضلها عليه ، بل انها من صنع يديه ، وقد صنعها لتكون فتاة مثالية ومواطنة مثالية ، وزوجة مثالية ، وأما مثالية ..

ولكنه لم يتزوجها ..

لماذا ؟ ..

لماذا لا يتزوجها ؟ ..

انه لا يستطيع ان يجد جوابا .. او هو أضعف من أن يواجه نفسه وينطق بالجواب الصحيح .. بل هو الى الآن لا يستطيع ان يعترف بأنه لن يتزوجها ، ولا يستطيع ان يقر بأنه قد يقبل الزواج بها ، انما يحاول ان يترك هذا السؤال يموت في صدره ، ويموت على السنة الناس ، قبل ان يجيب عليه !!

وهو لا يستطيع أن يتخذ من ماضيها حجة يشهرها في وجهها ، وفي وجه المتسائلين ، لعدم زواجه بها ، فان مبادئه العامة التي عرفت عنه ، والتي لا يزال ينسبها لنفسه ، ويحاول

وبدأت تبحث عن سلاح آخر ، ولم يكن في يدها من سلاح الا ان تؤمن بالمبادئ السامية ، وان تؤمن بمصر لتحتمي بها وتحمي ما بقي لها من ثراء ، وان تؤمن بالدستور والقانون والشعب والعدالة الاجتماعية .. بعد ان لم يعد لها من النفوذ وسطوة الضمير الفاحش ما تستطيع ان تنتصر به على الدستور والقانون والشعب والعدالة ، كما يستطيع بقية الاغنياء ..

وابتعدت عن الطبقة التي كانت تعيش فيها .. وعندما ابتعدت عنها استطاعت ان تراها على حقيقتها .. رأت النفاق ، والخداع ، والكذب ، والخسة ، وعبادة المال ، والكفر بكل مقومات الانسان .. وعندما رأت كل ذلك ازدادت تعلقا به ، هو الفقير ، المكافح في سبيل مبدئه ومستقبله ..

لقد كان حبه لها هواية .. فأصبح ضرورة !

ومرت السنون ، وقد تعودت ان تقضي أيامها في بيته ، بعد ان قتلت الحيوان الذي يعيش في صدرها ، قتلته بيلسم شاف قطرته في عروقها قطرة بعد قطرة ، ويوما بعد يوم .. أيام قضاهم كلاهما في حرمان قاس ، الى ان استوت له بشرًا سويًا وجسدًا ينتشى برقة الروح ، وطيبة القلب وسمو العقل ..

وانتهت هذه الايام عندما بدأت تفكر في الزواج !!

كان كل شيء حولها يدعوها لان تكون زوجة .. حاجتها اليه ، والبيت الذي تقضى فيه معظم ساعات حياتها الا اقلها ، واهتمامها بشئونه الخاصة حتى انها أصبحت تدبر تقوده ، وترتب ثيابه ، وتطهو طعامه ..

لم يبق الا ان تصبح زوجته ، وام اولاده ..

ولكنه لم يتزوجها ..

ان ينشرها بين قومه ، كلها مبادئ متحررة لا تحسب حسابا  
للماضى قدر ما تسمى للمستقبل ، ولا تقيم وزنا لجسد المرأة  
حتى لو تلوث ، ما دام قلبها طاهرا وما دامت روحها نقية ..  
وهو يذكر انها سألته مرة : لماذا يشترط الرجال العرب -  
هكذا كانت تسميهم - عند اختيار زوجاتهم ان يكن عذارى  
مهذمن لسن بالمطلقات ولا بالأرامل ؟ .. ولماذا يقيمون كل هذه  
الضجة وينشرون كل هذه الفضيحة ، اذا اكتشف الواحد منهم  
ليلة الزفاف ان زوجته ليست عذراء ؟ .. ولماذا لا تزال هذه  
العادات الهمجية التى تجرى فى ليالى الزفاف لاعلان ان العروس  
قد ثبت انها عذراء ، سائدة فى بعض القرى المصرية وفى كثير من  
المناطق العربية ؟ ..  
واجابها :

- انه الدليل الوحيد الذى ثبت به العروس انها صانت  
نفسها وصانت أهلها ، حتى ليلة زفافها ..  
قالت فى سخرية :

- انه دليل رخيص تستطيع كل فتاة ان تشتريه بثلاثين  
جنيها تدفعها لطبيب يجرى لها عملية جراحية بسيطة لجعل  
منها عذراء مزيفة !!  
- ان كل أصل له صورة مزيفة !!  
- والرجل .. كيف يثبت لعروسه انه صان نفسه حتى يوم  
الزواج !!

- ان جسد الرجل أقل قيمة من جسد المرأة .. هى التى  
تحدد الأنساب وتنسب الأولاد الى ابيهم ، فهى محور الحياة  
الاجتماعية كلها ، ولذلك زودت الطبيعة جسد المرأة بهذا الفشاء  
الرقيق الذى يفصل بين العذارى والأمهات ، حتى يطمئن به

الرجل الى صحة نسب اولاده اليه ..  
- ان الطيب الحديث أراح الطبيعة وأراح الرجال .. فان  
كل امرأة سواء كانت زوجة أو لم تكن ، تستطيع ان تتحكم فى  
جسدها لتنجب أو لا تنجب من رجلها ! ..

\*\*\*

وكانت تتكلم وهى لا تزال تعلق على شفيتها ابتساما ساخرة  
.. كانت تسخر من العادات الشرقية ، ومن عقلية وتفصيل  
الرجال الشرقيين .. !  
وقال لها فى هدوء :

- ان اوسكار وايلد يقول : « ان الرجل يريد ان يكون اول  
رجل فى حياة المرأة ، والمرأة تريد ان تكون آخر امرأة فى حياة  
الرجل » .. واوسكار وايلد انجليزى وليس عربيا ولا شرقيا ،  
ورغم ذلك فهو يعترف بأن الرجل يريد ان يكون اول رجل فى  
حياة المرأة ، ولا يطمئن الى ان ترتيبه كان الاول الا اذا كانت  
امراته عذراء .. او هذا على الأقل هو الدليل المادى الذى  
يستطيع ان يحصل عليه .. حتى لو كان دليلا تافها ! ..

- ان اوسكار وايلد رجل ، ولو كان امرأة لما قال هذا الكلام !  
- لو قرأت تاريخ اوسكار وايلد لعرفت انه كان اقرب للنساء  
منه للرجال .. ولكنه كان كاتباً صادقا ! !  
- اذن فانك لن تتزوجنى .. فانى لست عذراء ، وانت  
لست اول رجل فى حياتى !

- ان العذرية تعنى الطهر والعفاف .. طهارة الروح وعفة  
النفس .. وقد تطهرت روحك وعفت نفسك .. فانت عذراء  
حتى لو لم تكونى عذراء الجسد !  
كان يتكلم وهو يؤمن بما يقول ..

ورغم ذلك لم يتزوجها ..

وحاول أن يقنع نفسه بأنه لن يتزوجها لأنها من بيئة غير  
بيئته .. فهي اجنبية وعقليتها اجنبية ، وتقاليدها اجنبية ، بل  
انها لا تتكلم من اللغة العربية الا بضع كلمات تقولها في لهجة  
متكسرة مضحكة .. انها لن تستطيع أن تفهمه عندما يغار عليها  
وهي تراقص رجلا آخر ، ولن تشترك معه في تفضيل «اللوخية»  
على «الاسبرج» ، بل انها ضحكت حتى قفزت الدموع من  
عينها عندما رآته لأول مرة يرتدى «الجلابية» في نومه ، كعادته  
في شهور الصيف !

\*\*\*

ولكنه كان يغالط نفسه ويحاول أن يتلمس أعذارا واهية ..  
فهو يعلم ان الحب جمع بينهما في بيئة واحدة ، وأنها أصبحت  
منه وأصبح منها .. وهو يذكر كل يوم وكل دقيقة من هذا الحب  
الذي ولد في معركة انتصرت فيها المثالية على المادية ، وعاش في  
دنيا تنتشي برفيف الروح ، وترقص على دقات القلب ، ولا  
تنكر حق الجسد ..

انه يذكر الليلة الأولى التي التقيا فيها روحا وجسدا ، بعد  
أن قضيا شهورا طويلة في حرمان قاس يقرب بين روحيهما ويفرق  
بين جسديهما ..

كانا جالسين متقاربين فوق أريكة عريضة يقرآن كتابا من  
شعر عمر الخيام ويطل عليهما ضوء خافت مريح ، بينما أنفام  
من موسيقى «الزيجان» تنبعث من آلة الراديو ..

وكانت هذه عادتتهما كل مساء .. يجتمعان فوق كتاب الى ان  
ينتهي الليل او يكاد ، ثم يصحبها الى بيتها ويعود وحيدا يوقظ  
الفجر بخطوات قدميه ، بينما سيجارته معلقة بين شفتيه ويداه  
مدسوستان في جيبى سرواله ..

ولم يكن احد منهما ينتظر أن تكون هذه الليلة بالذات ليلة  
لقائهما .. لقاء جسديهما ..

كان كلاهما يعارض شعر عمر الخيام ، ويدعوه « شاعر  
الاستسلام » وكانا يتفقان في وجوب حرق كتبه حتى لا تلوث  
قلوب الجيل العاطفي الجديد .. وكان من عادتتهما أن يقرأ شعره  
ساحرين منه ومن مبادئه .. ولكن السخرية في هذه الليلة ماتت  
فوق شفاههما بين الصفحات ، وبدأت تقرأ في صوت كأنه همس  
أوراق الشجر لنسمات الربيع ، وبدأ يستمع وكان الالفاظ  
تصل الى قلبه دون أن تمر بأذنيه .. ووجد نفسه يلتصق بها  
أكثر مما عودها ، ثم تسلت ذراعه لتحيط بكتفها دون أن يجد  
القدرة ليقاوم نفسه او يقاوم ذراعه ..

\*\*\*

وانكمنست فوق صدره كأنها قطة جميلة عزيزة تبحث عن  
الدفء .. وكانت لا تزال منحنية فوق الكتاب تقرأ في صوتها  
الهامس دون أن ترفع وجهها اليه او تنظر في عينيه ..  
وامتدت أصابعه في تردد تمر فوق شعرها الاملس الفزير  
وتندس بين طياته ، ثم تنسحب لتطوف حول عنقها ، وتحسس  
اللهب الذي بدأ ينطلق من وجنتها ..

وذابت اشعار عمر الخيام فوق شفتها ، ولم يعد همسها الا  
انفاسا تتردد حائرة لا تنتظم ولا تختل !

كان كل منهما حائرا لا يدرى الى أين ينتهي به الليل .. هل  
هو ليل آخر من ليالى الحرمان الطويل الذي رضيا أن يعذبا  
نفسيهما به ؟ !

ومد يده الأخرى ورفع وجهها اليه ، بينما شاءت ذراعه أن  
تضفطها الى صدره في رفق تمكن به الشوق حتى كاد يصبح  
قسوة ! ..

ونظر الى وجهها وكأنه يراها لأول مرة .. رأى الوجدتين  
العاليتين كثرمتى التفاح ، ورأى الأنف الدقيق الأنيق وكأنه خلق  
خصيصا لاستنشاق الورد ، ورأى الحاجبين الكثيفين وكأنهما  
ظلال من الفحم الأسود الفاها فنان ليرز بها بياض بشرتها ،  
ورأى الشامات الثلاث التي تقوم على صفحة وجهها كأنها معالم  
الطريق الى شفقتها ، ورأى الشفتين اللتين ترتعشان دائما  
وكانهما في انتظار قبلة مرتقبة ..

\*\*\*

ولم تخلع نظارتها السوداء كما عودته ، بل هو الذى مد يده  
وخلعها ليطل في عينها .. عينين في لون العسل المصفى ، وصفهما  
عندما رأهما لأول مرة بأنهما عينا امرأة من الفجر ترتقب عودة  
رجلها الفائت بينما الحان كمان بعيد تثير أذق غرائزها .. انهما  
اليوم ليستا عيني عجزية ، انهما عينا راهبة اقضها الحرمان  
ولا تزال تخشى نفسها أكثر مما تخشى الله !  
وخيل اليه وهو ينظر اليها انه قبلها آلاف القبل قبل ان  
يلمسها بشفتيه ..

وانسدلت الجفون فوق العيون ، وغابا في قبلة جمعت أيام  
العمر كله ، وتبادل كل منهما قلب الآخر بطرف لسانه ..  
وعندما أمالها ومال معها ، سقط عمر الخيام من فوق ركبتهما ،  
وخيل اليهما ان صوت الكتاب وهو يسقط على الارض ، كأنه  
طرفة على باب الجنة ..

. . . . .  
. . . . .  
. . . . .  
. . . . .  
. . . . .

ثم . . .

ثم اكتسى وجهها بحمرة كحمره الشفق عند بزوغ فجر جديد ،  
وخبات وجهها في صدره لا تريد ان ترفع عينها اليه ، وكأنها  
عذراء في ليلة زفافها غلبتها النشوة حتى استحت ان تبدو آثارها  
على وجهها ..

كانت هذه هي نفس الفتاة التي وقفت امامه منذ شهور طويلة  
عارية الا من صليب مظلوم يتعذب فوق صدرها ، ويترنح حول  
جدها كأنه يحاول الفرار منها ، نفس الفتاة التي كانت تعوى  
كالدبابة وهي تلتهم شفقيه بأسنانها وتعصره بين ذراعيها ..  
هي نفس الفتاة ، بعد ان أحبت ، وطهرت جسدها من ماضيها  
وأمنت بأن الحياة ليست أجسادا تلتصق ، وان الانسان ليس  
مجرد آلة تدور بلا إيمان وبلا هدف وبلا حب !

\*\*\*

واغلقا باب الجنة وراءهما وعاشا في نعيمها شهورا طويلة ..  
لم يقلقه يوما ماضيها ..

ولم يقلقه يوما انها اجنبية وهو مصرى صميم ..  
ولم يخجل منها يوما أو يحاول ان يدارى حبه لها .. كان  
يفخر بها ، وبزهو بحبها أمام الدنيا ، بل انه أخذ عنها كثيرا من  
الخصال الحميدة التي كانت تنقصه ، وهذبته حتى لم يعد ينفر  
من الناس .. أو ينفر منه الناس ..  
ورغم ذلك لم يتزوجها ..

لماذا ؟ ..

وما قيمة هذه الورقة التي يحرقها مأذون لا يتعدى أجره ثلاثة  
جنيهات حتى يتردد امامها كل هذا التردد ، ويأبى أن يوقعها ،  
باسمه ، ويخجل أن يصارح نفسه بأنه لن يوقعها ؟

انه لم يكن يدري انه يتطور .. ولم يكن يدري انه بدأ يخون مبادئه .. ولم يكن يدري انه بدأ ينزل من سماء المثالية التي رفعها اليها فنه ، ليعيش في الدنيا رجلا كبقية الرجال .. والرجال كلهم انانيون ..

والانانية هي التي حرمتها من الزواج بها ..

ان الزواج لم يكن يعنى الا ان يمنحها اسمه ، فهي لم تكن تطمع في شيء الا ان يكون اسمه لها ولاولادها منه .. وقد بدأ يشعر ان هذا الاسم اصبح له قيمة ، واصبح له سوق يتجر به فيها ، وكان من قبل لا يشعر الا بمبادئه ، ولا يحسب ان لاسمه او لشخصه كيانا ، الا كيان هذه المبادئ ، وهذه المثل العليا التي كان يجاهد في سبيلها ..

\*\*\*

وقد بدأ يتطور عندما طمع احد الاحزاب في جهاده وفي فنه فسمى اليه ليرشحه باسم الحزب في الانتخابات .. وقد قاوم هذا السعى ، فهو يكفر بالاحزاب كلها ، ويكفر بالزعماء كلهم ويؤمن انهم جميعا يمثلون طبقة واحدة من اصحاب المصالح ورووس الاموال التي تستنزف دم الشعب وتستغل قوته ..

ولكنه بعد السعى الطويل والافراء العريض ، بدأ يقنع نفسه ، بأنه بانضمامه للحزب يستطيع ان يصلحه ويغير من اتجاهاته السياسية ، ويستطيع ان يجمع حوله امثاله من الشبان النظيف ليكونوا دما جديدا يسرى في عروق الحزب ويظهره من الميكروبات التي تنزعه وتعيش فيه ..

وكان يخدع نفسه .. وقد قبل ان يخدمها ..

وآدار وجهه ريثما يدفع له الحزب قيمة الترشيح ، ونفقات الحملة الانتخابية ..

ثم اسبل جفنيه حتى لا يرى رجال الادارة وهم يتدخلون لمصلحته لينجح على خصمه ، وكان يضحك على نفسه بان هذا التدخل ما هو الا وسيلة خاطئة لهدف صحيح .. والهدف هو ان يكون نائبا في البرلمان ليفعل كيت وكيت .. مما لا يستطيعه خصمه !!

ونجح في الانتخابات ..

وفرح الشعب بنجاحه ، فقد كان بطلا من ابطاله ، وكان يمثل التطرف الوطني الواعي ، وكان طول حياته نصير كل فقير ، وعدو كل غنى ..

ويبحث هو عن صدى هذه الفرحة في قلبه فلم يجد لها اثرا ، فقد أحس ان الرجل الذي اصبح نائبا ، ليس هو الرجل الذي عرفه الشعب مجاهدا ..

واستقبل تهاني الناس بابتسامة تعبت على شفثيه من كثرة ما فيها من بهتان ، وعندما وقف خطيبا في ناخبيه لأول مرة بعد نجاحه ، أحس بنفسه يبحث عن اللفظ الرنان ليرضى به الآذان الساذجة ، أكثر مما يبحث عن المعاني .. فقد بدأت المعاني السامية تتخلى عنه منذ بدأ يتخلى عن مبادئه ..

\*\*\*

ودخل المجلس ..

وحاول ان يؤدي واجبه كما تصور نفسه داخل المجلس ، فلم يستطع !!

كان عليه ان يمثل لتعليمات حزبه في كل مسألة من المسائل المعروضة ، فان لم يمثل وحاول ان يتكلم ، هب في وجهه أغلبية الاعضاء حتى يسكتوه .. !!

وقدم أكثر من سؤال واستجاب حول مسائل اعتدى فيها

على الدستور وعلى مال الشعب ، فكان رئيس المجلس يستدعيه ليقتعه بسحب سؤاله أو استجوابه ، فان لم يسجبه راضيا ، أبى سعادة الرئيس أن يدرجه في جدول الأعمال ! !

وحاول أن يفضح شركة من الشركات عاشت عالة على مصر أعواما ، فاذا بالهمسات تسعى الى اذنه ، واذا بالعروض تلقى بين يديه ، واذا بالوزير المختص يدعوه ليشرح له المصالح التي تربط الشركة بأكثر من جهة وتحول دون فضيحتها ، ثم اذا بطن يقدم في صحة نيابته يبدأ في التحرك لينتهي بطرده من المجلس .. واذا به يضطر لأن يسكت ..

بل انه اكتشف ان الناخبين أنفسهم لا يريدون مبادئه الا ليسيئوا بها لا ليجاهدوا في سبيلها ، انها مجرد اسطوانات ترقص عليها قلوبهم وتثير فيهم شهوة الهتاف ، فان طرد احدهم كان أهم لديهم من طرد الانجليز من مصر ، وترقية احدهم الى الدرجة السادسة ، أهم لديهم من ترقية حال الفلاح والعامل .. الى آخر الأهداف التي ضيع شبابها مطالبها بها ..

\*\*\*

وعرف بعد اسابيع قصيرة انه كى يكون عضوا في الحزب ونائبا في البرلمان ، ثم وزيرا - باذن الله - يجب عليه ان يتنازل عن مبادئه وعن تطرفه .. أو على الأقل يجب ان يتنازل عن لب مبادئه ، ويحتفظ باسطوانة منها كى يرقص على سماعها السذج الذين يؤلفون شعب مصر الكريم ..

وكانت مبادئه قد ضعفت ، والشعلة بدأت تخدم في صدره قبل أن يتنازل عنها ، وان لم يعترف حتى بينه وبين نفسه بهذا التنازل ..

وبدا يستفيد من الأوضاع القائمة حوله ..

وفتحت الأبواب امامه ، ومدت الموائد بين يديه ، بعضها براسها وبعضها يجلس في ذيلها ويتمسح بها ، وأصبح لاسمه ثمن كبير .. ثمن تدفقه الشركات ، ويدفقه التجار ، ويدفقه الشعب ، وتدفعه الحكومة وستحوطه الألقاب يوما ما .. ولكن هذه الفتاة الطيبة الكريمة التي أحبته ، والتي أحباها صادقا ، خلال أربع سنوات كان فيها نظيفا نقيبا طاهر القلب والعقل .. ماذا تستطيع ان تدفع ثمنا لاسمه ؟ ! لقد دفعت له ثمن حبه أياما أسعدته بها ..

ولكن اسمه ! ! ان ثمنه لا تستطيع دفعه - بعد ان تلوث - الا ابنة وزير ، او ابنة كبير .. وقد اصبح يلتقى بنات الوزراء والكبراء ، وأصبحت كل منهن تطمع في اسمه .. هذا الاسم الذي أصبح يمثل في المجتمع الراقي شبابا وسيما ناجحا ذا مركز ممتاز .. والمجتمع الراقي ليس من عادته أن يبحث عن حقيقة المبادئ التي تختفى وراء الوسامة والنجاح والمركز الممتاز ، ولم يتعود أن يراجع هذه المبادئ بين الحين والحين ليتأكد انها لم تتعرض لتبديل أو لفتور ..

\*\*\*

وامتلات أيامه بحياته الجديدة .. كان دائما في اجتماع مجلس ادارة إحدى الشركات ، او اجتماع لجنة برلمانية ، او في الجلسة ، او في مقابلة وزير او في حفلة من حفلات الشاي أو الحفلات الساهرة ، ولم تعد أيامه تتسع للفتاة التي تحبه .. لم يعودا يقرآن سويا في كتاب ، أو يستمعان الى لحن من الحان بتوفن أو شوبان ، أو يتناقشان حول مبدأ أو فكرة ، أو يقص عليها قصة يوم من أيامه .. كان لقاؤهما دائما قصيرا سريعا ..

لقاء لا يكفى ليجمع بين روحيهما ، وقلبيهما ، وعقليهما ..  
وان كان يكفى ليجمع بين جسديهما !!

لقد أصبح رجلا آخر .. أصبح حيوانا .. أصبح آلة تدور  
بلا وعى وبلا هدف ، أصبح كما كانت هى عندما التقى بها منذ  
أربع سنوات .. قبل أن تشفى ، وقبل أن ترتفع عن مرتبة  
الحيوان الى مرتبة الروح والقلب والذهن ..

أصبح يلتقى بها ويضمها بين ذراعيه وهو يلقي عليها بتحيةة  
اللقاء ، ثم يقع بشفتيه فوق شفتيها ويفتش بينهما حتى تصطك  
أسنانه بأسنانها ، ويعصرها في صدره حتى تلتهب أعصابه فيمد  
يديه مجنونتين ليخلع عنها ثوبها .. ثم ينهش فيها ككلب مسعور  
.. بينما تستسلم له مشفقة عليه ، كارهة له ، والصليب يهتز  
حول عنقها في تمرد وكأنه يحاول أن يصفعه ..

حتى اذا هدأ فوق صدرها .. التقط سترته ، وتمتم ببعض  
الفاظ لا يختار لها معنى ، ثم ينطلق ليلحق بإحدى اجتماعاته  
قبل أن يفوته مواعدها ، او ليلتقى بابنة وزير أو كبير طمعت في  
شبابه الوسيم ومركزه الممتاز واسمه العريض ..  
هكذا أصبح ..

وقد حاولت أن تعالجه كما عالجها ، ولكنه استعصى عليها ،  
واستعصت عليها نفسها أن تتطور معه ..

\*\*\*

وكان يرفض أن يناقشها أو يستمع الى نقاشها ... قالت  
له يوما :

— لقد تبدلت .. انك انسان آخر ..

— تقصدين انى نجحت ..

— انك فشلت .. انك انسان لا اعرفه ..

— انك لا تعرفيننى الا فقرا ، مضطهدا ، متعبا .. ولا تريدن

ان تعرفينى نائبا ناجحا ، واسما عريضا ، ومركزا ممتازا ..

— لقد دفعت الثمن من مبادئك وروحك ، وضميرك ..  
— اخرى .. ان الشعب يهتف لى اليوم كما لم يهتف من  
قبل ! ..

— سيففكك الشعب غدا ، عندما تنكشف له ..

— اين انت من الشعب .. انك اجنبية .. حماية فرنسية !

— انت الذى جعلتنى من الشعب .. انت .. هل نسيت

لياليك الطويلة وانت تحدثنى عن شعبك حتى أحببته كما أحببتك !

— انك لم تؤمنى بالشعب الا عندما ضاعت ثروة ابيك  
واحسست بالفقر ، فأحبيت الفقراء ..

— وانت كفرت بالشعب وبدأت تخدعه ، عندما أصبحت  
من الأغنياء ! ..

— انى نائب من نواب الشعب ، والشعب هو الذى يدفع لى

— انك نائب من نواب الحكومة ، والحكومة هى التى تدفع لك

— انها حكومة الشعب ..

— انها سوط على الشعب فى يد الأسياد ! !

— انا الذى علمتك قول هذا الكلام .. الحق على !  
وغادرها ولم يعد ..

\*\*\*

لقد كان كل منهما يقف فى أحد طرفى الطريق ، ثم التقيا فى

منتصفه ليسير كل منهما الى الطرف الاخر من الطريق ..

كان فقيرا وكانت غنية ، فأصبح غنيا وأصبحت فقيرة او  
تكاد ..

وكان مثاليا وكانت مادية ، فأصبح ماديا ، وأصبحت مثالية ..



وكان يؤمن بالروح وكانت تؤمن بالجسد ، فأصبح يؤمن  
بالجسد وأصبحت تؤمن بالروح ..

وكان يعيش لمبادئه ، وكانت تعيش بلا مبادئ ، فأصبح  
يعيش بلا مبادئ ، وأصبحت تعيش لمبادئها ..

ولم يعد أحدهما يطبق أن يعيش مع الآخر .. كان يرى فيها  
صورة لشبابه الطاهر ، ولكفاحه الشريف .. الصورة التي  
يخشأها ويريد أن يتناساها ويتناسى معها الماضي كله حتى لا يزعم  
بها ضميره الذي خدره حتى نام عن حاضره ..

وأصبحت ترى فيه صورتها يوم كانت تعيش حيوانا شره  
الحس ، بارد الإحساس ، جاف العاطفة ، يدور كالآلة الصماء  
في ضجيج يطفى على صوت الله ، وأصوات الملائكة ، وأصوات  
البشر .. الصورة التي أحرقتها وتأبى مجرد تصفحها ..

إنها اليوم تعيش في عزلة .. سعيدة ، هادئة ، راضية  
الضمير ، تمتع قلبها وذهنها بجمال كل ما ينتجه الإنسان الفنان  
.. وقد ترونها يوما ، فتاة في نضرة الورد ، تركب سيارة كبيرة  
قديمة حمراء من آثار عز قديم ، تحملها في صباح كل يوم الى  
الكنيسة لتقف أمام الجسد المصلوب ترتل صلواتها الخافتة ،  
بينما روح القدس تبارك السماء والأرض من حولها ..

شيء واحد تغير فيها .. فان نظارتها لم تعد سوداء .. انها  
نظارة بيضاء .. فقد أصبحت تعيش في النور بعد أن خرجت  
من الظلام ..

وعندما ترونها ، احنوا الرؤوس .. فهي أطيب قلب يضمه  
صدر فتاة ..

\*\*\*

أما هو ..  
انه يبيع أيامه في سبيل مجد زائل مزيف مفشوش .. ويدور

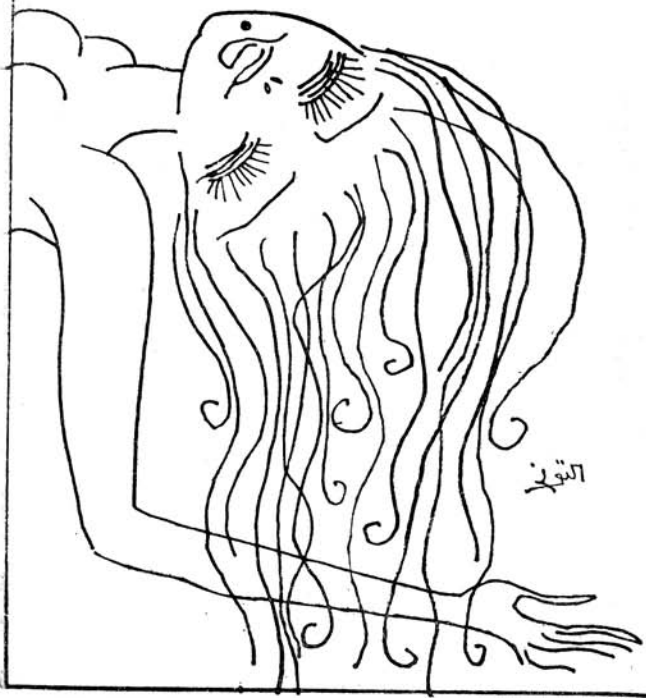
كالثور المعلق في ساقية .. يتتسم فلا يحس الا بأن شفثيه قد  
انفرجتا ، ويشرب فلا يحس الا بما يعقب الشراب من صداع  
في آخر الليل ، ويأكل فلا يحس الا بالأشياء تتساقط في معدته ،  
ويصطحب فتاة فلا يحس الا بجسد أملس يلتصق به ..

وقد تسمعون عنه قريبا انه أصبح زوجا لابنة وزير أو كبير ،  
ثم قد تسمعون عنه انه أصبح وزيرا أو كبيرا ، فلا تحسدوه ..  
انه حيوان بائس تعيش .. !

وعندما يخلو بنفسه في بيته الأنيق الذي تتناثر فيه التحف  
كأنها شواهد تقوم فوق قبور أباطرة الرومان ، ويجلس في مقعده  
الوثير أمام المدفأة الفخمة ثم يبرق ذهنه أو يتحرك ضميره يداوى  
نفسه فيخاطبها بمنطقه الجديد :

« هذه المبادئ .. وهذه المثل العليا .. هل وضعت لتكون  
نظما مقررة ، ترتب حياة كل إنسان وتحدد تصرفاته وتحكم قلبه  
وعقله ؟ لا .. انها وضعت لاستعمالها وقت الحاجة فقط ، فان  
لم نحتاج اليها فلا تؤمن بها ولا نستعملها .. انها العصا التي  
يستند اليها الضعيف ، أما القوى فليس في حاجة الى عصا  
ليستند عليها .. انه يقف على قدميه متحديا ، بلا مبادئ وبلا  
مثل عليا » ! ! ..

راقصة  
في أجازة



« كتبت هذه القصة في جزيرة كابرى .. خلال أيام تعيسة قضيتها هناك وأنا شبه سجين !  
وكانت تقف بجانبى عندما اكتب ، ثم تستمع الى ما اكتبه بعد ان اترجمه لها فتهمز كتفيها وتقول بلا مبالاة : « وماذا يهم ما دام قرأوك لا يعرفون من انا .. وما دمت ستكسب بعض المال من وراء قصتى » !  
ولكنها كانت أحيانا تثور وتصرخ : « هذا كذب ! » ثم تمد اظافرها وتحاول أن تمزق الورق ..

\*\*\*

وكنت انقذ الورق من بين اظافرها ، واضطر أحيانا أن الوى ذراعها خلف ظهرها حتى تهدأ ثورتها ، فكانت تصرخ : « ماذا تريد منى .. هل تريدنى أن أبكى .. تذكر انى المانية ، ولن أبكى أبدا .. ولن أبكى من أجلك أنت بالذات » !  
ولم تبك أبدا .. لقد قابلتها مرفوعة الرأس موفورة الثقة بنفسها ، وتركتها وهى تخطو نحو الباخرة فى خطوات قوية كأنها خطوات الأوزة ..  
انها لم تبك ، ولن تبكى .. لأنها امرأة تعلمت كيف تقسو على نفسها ! ..

« احسان »

منه زجاجة شمبانيا ، ويطلبها مع الزجاجة ، بنفس البساطة  
التي يطلب بها طبق فول سودانى ..  
لم يتقرب اليها لانه كان يخشاها ، وهو يخشى جميع الراقصات  
حتى من تبدو منهن بريئة ساذجة ، ويعلم جيدا كم يكلف الاعجاب  
بهن ، وكم يكلفه هو بالذات من وقته وسمعته وماله على حساب  
عمله الذى يفتنى فيه ..

\*\*\*

وعرف أصدقاؤه تهافته عليها وحاولوا أكثر من مرة ان يجمعوه  
بها على مائدة واحدة ، ولكنه كان يرفض ويصر على الرفض ثم  
يقف بعيدا يرقبها ، ويرقب ابتسامتها وهى توزعها على كل  
الناس دون ان يكون له نصيب منها ..  
وسلطوها عليه يوما ما ، فجات ووقفت بجانبه على حافة  
« البار » ونظرت فى عينيه ، فارتبك وأدار لها ظهره وحاول ان  
يشغل نفسه عنها بكأسه ، ولكنه كان يحس بعينها لا تزالان  
مصوبتين اليه ، تحرقان قفاه ، ثم احس بكتفها تلامس كتفه  
وتلح فى ملامسته ، فالتفت اليها وهو يحاول ان يبدو غاضبا ،  
ولكنه اصطدم بابتسامتها الطيبة الساذجة التى تعلقها على جانب  
من شفيتها فتهاوى .. وهو دائما يتهاوى كلما رأى شيئا طيبا  
ساذجا ، ووقف امامها لا ينظر اليها ولا يتكلم ، يحاول ان يبدأ  
فلا يعرف من أين ! ويحاول ان ينتهى فلا يعرف الى أين !  
واتسعت ابتسامتها حتى وصلت الى الجانب الآخر من شفيتها  
ثم قالت فى لغة انجليزية تشوبها لكنة المانية :

– لقد قيل لى انك تحبنى ؟

وكان يعلم انها مهما قالت فلن تقول اكثر من مداعبات ترضى  
بها اصدقاءه الذين سلطوها عليه ، ورغم ذلك فقد احس ان



كان يمكن ان تبدأ القصة فى القاهرة ، فقد رآها لأول مرة  
ترقص فى أحد ملاحها الراقية ..

وقد تعمد ان يراها مرة ثانية وثالثة ثم عشرات المرات ..  
ولكنه كان يكتفى منها بالنظر .. فيجلس بعيدا يرقب ابتسامتها  
الطيبة الساذجة التى تعلقها على جانب من شفيتها ووجهها  
الصفير النحيل وهو يطل من بين خصلات شعرها الاشقر الذى  
ينسدل فوق كتفها بلا نظام كأنه شلال من ذهب ، وجسدها  
الضئيل الذى يتلاعب به زميلها الراقص كأنه سلسلة مفاتيح  
يطوحها بأطراف أصابعه ..

انها راقصة .. ولكنه كان يراها كطالبة فى احدى مدارس  
البنات الاجنبية ، وكان يرتفع بها – فى مخيلته – عن بيئة  
الراقصات ، بل كان يخيل اليه انها أرق وأضعف من أن يقربها  
رجل ، انما يكفى ان ينظر اليها الرجال ، ويبعدوها ، او على  
الأقل يجنبوا بها .. !

ورغم ذلك ، لم يحاول أن يتقرب اليها ، او يقدم لها نفسه ،  
مع ان الأمر لم يكن يكلفه أكثر من ان يصفق للجرسون ويطلب

الموقف لا يحتمل المداعبة ، وان هناك في اعماق قلبه شيئا يجب ان يحترمه ، ويجب ان تحترمه هذه الفتاة ، ويجب ان يحترمه اصداقؤه ..

واجاب في صوت خافت رزين :

— ان الحب كلمة كبيرة .. لنكتف الآن بالقول انى معجب بك .. !

— ولماذا حرمتنى من البوح بالاعجاب .. انه من حقى ، ومن حقى ان ارضى به غرورى !

قالتها في صراحة وابتسامتها تتلاعب على شفيتها حتى قفزت الى عينها .. واجابها بنفس الصوت الرزين ، وكأنه يناقش نظرية اقتصادية عويصة :

— هناك اسباب ثلاثة تمنعنى من ان ابوح لك باعجابى : اولا ، ان اعجابى بك يكلفنى كثيرا من زجاجات الشمبانيا وانا رجل فقير قد اتحمل ثمن زجاجة ، ولكنى لا اتحمل ثمن الثانية .. ثانيا ، انا رجل مشغول اكدر فى سبيل مبدأ أو من به وفى سبيل رزقى ، ووقتى لا يسمح لى باشباع اعجابى بك ، ولن أستطيع ان انتظرلك هنا حتى الساعة الرابعة صباح كل يوم حين تنتهين من عملك ، لاقول لك كم انا معجب بك . اما ثالثا فانى أخشى ان ينقلب هذا الاعجاب الى حب ، وانا أخاف الحب ، ولا اريد ان أحبك أنت بالذات !

\*\*\*

وكان يتكلم وهو ينظر الى كاسه وكأنه يقرأ فيه نبضات قلبه ، وعندما انتهى ، رفع اليها عينيه ، فوجدها تدور بعينها فى أرجاء وجهه وكأنها تراه لأول مرة ، واذا بابتسامتها تدوب فوق شفيتها حتى تخفتى ، وترتفع مكانها آهة صامتة .. قد تكون آهة

اعجاب ، او آهة شفقة ، او آهة رثاء ، ثم اذا بها تدس اصابعها فى خصلات شعره تعبت بها فى حنان عجيب وتكلم وفى عينها ضوء خافت كضوء مصباح ازرق بجانب فراش النوم .. وقالت :

— انى أستطيع ان اتغلب على السبيين الأولين ، انى اقبلك فقيرا ، واكتفى منك بما يتركه لك عملك من فراغ .. ولكن لا تكن جبانا ، وحاول ان تجد فى نفسك الشجاعة لتجبنى !

\*\*\*

ولم يتكلم فقد رآها فى هذه اللحظة كما لم يرها من قبل ، وأحس انها لم تعد هذه الطفلة الصغيرة التى أعجب بها كل هذه الاسابيع ، وارتفع بها عن بيئة الراقصات .. أحس ان هذا الجسد الضئيل يضم شراة ذئبة ، وأحس ان هذه الابتسامة الطيبة الساذجة تخفى وراءها اسنانا جائعة ، وأحس ان شلال الذهب الذى يسدل على كتفها يكاد يشتعل نارا يطل وجهها التحيل الاصفر من خلال ألسنتها .. ثم أحس بنفسه يتضاءل امامها حتى كاد يرتدى على صدرها ويبكى مرتعدا كطفل ضائع

وقد يكون مخطئا فيما أحسه ولكنه كان ينتظر منها غير ما لقى .. كان ينتظر منها ان تحمر وجنتها خجلا عندما تسمع كلمة من كلمات الاعجاب او الغزل ، وكان ينتظر ان ترتبك وأن تتلعثم وتحترأ بابتسامتها عندما تقف قبالة ، ولم يكن ينتظر ان تقبل عليه بمثل هذه السهولة المتبدلة .. كان يريد ان ترتفع وأن تتمنع وأن تصد اعجابه بها ، وان تعبت قلبه حتى يلهث وراءها .. هكذا صور له خياله .. وقد صدم عندما اكتشف انها لم تكن سوى راقصة من الراقصات !

وطال بينهما الصمت وكانت خلاله تدس اصابعها الصغيرة الرقيقة فى خصلات شعره وتدغدغ رأسه وكأنها تريد ان تنشب

أظافرها في مخه لتفقدته العوى ، وكان هو مرتبكا خجلا يخيل اليه  
أن العيون كلها قد التفت حولهما في وقتهما

وجاء الجرسون وهمس في أذنها وابتعد ، فقالت وهى تسحب  
أصابعها من خصلات شعره :  
- انتظرني ..

قالت بصوت امرأة تستأذن رجلها بضع دقائق ريثما تخلع  
ثيابها ، ثم اتجهت الى حيث كانت تنتظرها زجاجة شمبانيا تردد  
في قبر من الثلج ملتفة بكفن ابيض !

\*\*\*

ولم ينتظرها ..

فقد عود قلبه أن يقاوم .. وكان يسمى شعور الاعجاب هذا  
الذى يحس به نحو بعض النساء « طرقات على القلب ، عله  
ينفتح » .. ولم يكن يسمح لقلبه أن يفتح ، خصوصا للراقصات ،  
وكان يستعين عليهن بحبه لعمله وحرصه على وقته وراحة  
أعصابه ، وكل هذا كان كفيلا بأن يضيع منه بين أحضان  
راقصة ! ..

لم ينتظر .. وخرج من الباب وقد ترك وراءه في الملهى حلما  
تحطم ، وليلة غرام لم تتم .. وبين ضلوعه قلب يأسف لعناد  
صاحبه ..

ولم يعد الى الملهى ثانية .. ولم يرها بعد هذه المرة .. بل  
لم يسمع باسمها ..

وكان هذا هو كل ما شهدته القاهرة منهما .. فضلا واحدا  
لا يصلح كى يكون قصة ، ولا مقدمة قصة !

\*\*\*

ومرت شهور ، سافر بعدها الى ايطاليا ، واستقر اياما في  
جزيرة كابرى ..

وقد احب دائما كابرى .. احب كل حجر فيها ، واحب  
شوارعها الضيقة العتيقة التى تنتقل بك الى عصر القراصنة  
عندما كانوا يلجأون الى جزائر مجهولة ساحرة يدفنون فيها  
كنوزهم وينشدون في لياليها اناشيد الخمر والنساء

وكان قد تعود أن يحس هناك بالحرية المطلقة .. وهى ليست  
حرية سياسية ، ولا حرية الايمان ، ولكنها حرية اطلاق النفس  
من وراء قضبان المجتمع ، وفك العقد النفسية المتراكمة التى  
يكونها الادعاء والرياء والنفاق الذى يفرضه عليك الناس أو  
تفرضه على نفسك .. انك هناك تستطيع أن تبدو كما تشاء ولن  
يقول عنك أحد انك مجنون ، ولن يقول أحد انك عاقل ، فليس  
هناك من يهتم بشأن الآخرين ، ولن تفيق من نشوتك الا لحظات  
سريعة عندما تسمع أجراس الكنيسة تدق في قسوة حتى لتكاد  
تخلع الجزيرة الصغيرة من جذورها ، لتذكرك بأن الله موجود ..  
حتى في كابرى !

\*\*\*

ولكنه في هذه المرة لم يجد في كابرى ما تعود أن يجده من راحة  
النفس واطلاقها على سجايها ، أو هو لم يجد نفسه يصلح  
لكابرى ولا لقومها .. فقد امتدت الايدي التى تحاول أن تخنق  
مبادئه وتصد كفاحه لتلاحقه هناك ، وأحس بنفسه مضطهدا  
مظلوما ، وحاول أن ينسى فلم يستطع ، وحاول أن يستريح من  
ذكريات ما فات من كفاحه وما ينتظره من وراء هذا الكفاح فلم  
يستطع ، فقد كانت أعصابه تلح عليه أن ينتقم وأن يقاوم ، وكان  
الحقد على أعدائه السياسيين يصور أمام عينيه صورا سوداء  
تقبض صدره وتضغط كالكابوس على قلبه ..

ومضى يومان قضاهما في الجزيرة وحيدا لإحداث أحدا ولا

كابرى .. فليس فى الجزيرة راقصات ولا كإباريات ، وهى  
لا تكون الا حيث تكون الراقصات والكإباريات ..  
وصاح فى صوت مبجوح .. يحشرجه صمته الطويل الذى  
عاش فيه :

– تشارلى ..

وكان هذا هو اسمها ..

وقالت وإبتسامتها تتدلى على جانب من شفيتها :

– أخيرا .. لقد خيل الى انك تحولت الى تمثال من الشمع ..  
فقد انتظرتك عشر دقائق حتى ترفع عينيك الى .. ماذا بك ؟  
ولماذا تركتها وجئت الى هنا ؟

– تركت من ؟

– هذه الفتاة التى حولتك الى تمثال من الشمع

– ليس هناك فتاة .. انما هى الوحدة !

– اذن ، لن ادعك وحيدا !

قالتا كأنها صديقة قديمة مسؤولة عن سعادته ، فأشار الى  
مقعد بجانبه قائلا :

– تعال اجلسى ..

– بل قم .. تحرك ..

\*\*\*

وجذبته من يده ، وسارت تجره وراءها فى خطوات سريعة ،  
وتقف امام كل حانوت لتصرخ فرحة لشيء تراه ، ثم تدخل الى  
مقهى لتشتري « ايس كريم » فى قرطاس من البسكويت تعلقه  
بلسانها وهى سائرة فى الطريق ، ثم تصطدم بعازف الجيتار  
فتطلب منه لحنا تفتنيه معه ، ثم توقف سائحة أمريكية لتسألها  
من اين اشترت هذا الثوب الانيق .. وكانت تقفز وتضحك

يحرك لسانه الا لیسال الجرسون « كوتو » اى « الحساب »  
.. وكان يذهب كل صباح الى « بيكولو مارينا » – اى البحر  
الصغير – ليستلقى على مقعد من مقاعد كازينو « كونرمو دلار »  
اى اغنية البحر – ويترك جسده للشمس عليها تستطيع ان تذيب  
ثورته ، وتفتت اعصابه المتوترة ، ثم كان يرفع عينيه بين الحين  
والحين ليرى من حوله الطبقة الارستقراطية العالمية تضمها اجساد  
عازية مبتذلة ، فيحاول ان يبتسم سخرية او امتعاضا ، فاذا  
إبتسامته تفيض بالدموع !

وكان يقضى على مقعده هذا ، النهار كله ، يقوم ولا يقعد ، فاذا  
ما انتهى النهار سحب نفسه ليجلس على مقعد آخر فى الميدان  
الصغير الذى يتوسط الجزيرة ، والذى لا يزيد فى مساحته عن  
صالة الطعام فى منزل النحاس باشا !

وكان يجلس هناك حتى الساعات الاولى من الفجر ينظر ولا  
يرى ، ويسمع ولا يعى .. وتمر به الحسان فى ثيابهن المجنونة  
كاشباح داكنة ، وتصل اليه الانغام مختلطة بالضحكات الملحنة  
كأصدقاء بعيدة من عالم لا يعيش فيه ..

\*\*\*

وكان فى جلسته هذه عندما أحس ان هناك شيئا يقف قبالة  
وينظر اليه ، فرفع عينيه التائنتين ليراها امامه ..

انها الابتسامة الساذجة الطيبة المعلقة على جانب من الشفتين ..  
وهى الوجه الصغير النحيل الذى يطل من بين طيات شلال  
الذهب ..

وهى الجسد الضئيل الذى يطوحه صاحبه كما يطوح سلسلة  
المفاتيح بين أصابعه ..

ولم يصدق عينيه ، فقد كانت آخر من ينتظر ان يلقاه فى

وترقص وتتكلم .. كانت تتكلم كثيرا ، وتتكلم بخمس لغات ،  
وتتكلم بها جميعا كلاما فارغا تافها لا يكلفك أن ترد عليه بل يكفي  
أن تضحك منه ..

وأحس بالحياة تدب في أوصاله ، وبدأ يرى كبرى كما تعود  
أن يراها .. كانت حيوية هذه الشابة المرححة أقوى من همومه  
وأقوى من مشاكله ، فاندفع معها يقفز ويضحك ويرقص ويلعب  
« الأيس كريم » بلسانه في الشارع ، ويتكلم كلاما فارغا تافها  
وجذبته من يده مرة ثانية قائلة : تعال .. لتتعرف على  
عائلتي .. ووقفت به أمام ثلاثة :

أحدهم أخوها - غير الشقيق - « هانز » وهو زميلها في  
الرقص .. شاب سويدي مفتول العضل ، ممشوق القوام ،  
صارم التقاطيع .. لا يتكلم إلا نادرا ، وإذا تكلم فليقذف اخته  
بكلمة لأذعة جارحة ..

\*\*\*

والثاني « جان » شاب فرنسي جميل ، في جماله أنوثة وفي  
إبتسامته خلاعة النساء ، وفي مشيته وتصرفاته رشاقة فتاة  
مفتونة .. وهو أحد مديري الفرقة الراقصة التي تضم تشارلي  
وأخاها هانز ، وتستطيع أن تلمح سريعا أن جان معجب بهانز ،  
وان هذا الإعجاب يتخذ صورا شاذة ليست من مقتضيات الإعجاب  
بين رجل ورجل !

\*\*\*

أما الثالثة فهي « العمة لوتى » .. امرأة عجوز في الستين من  
عمرها تدب على الأرض في قوة ابنة الثلاثين وتتكلم في صوت حاد  
منفر النبرات ، وتنتقد دائما ، وتعرض دائما ، وتتأفف دائما ..  
وقد بدأت حياتها راقصة تطوف العالم مع الفرق الاستعراضية ،

ثم لما اعتزلت الرقص ، ظلت تطوف العالم مع الفرق الاستمر  
لا كراقصة ولكن كمساعدة للراقصات .. تحوكت ثوبا ، أو تعبر  
طعاما ، أو تحسب حسابا وفي الوقت نفسه تراسل بضع صحف  
سويدية بتحقيقات عن البلاد التي تطوف بها  
وابتسم وهو يرى نفسه بين هذا الخليط من الناس .. ان  
كلامهم يختلف عن الآخر في جنسيته ، فالفتاة « تشارلي » تحمل  
جواز سفر ألمانيا مؤشرا عليه بإقامة دائمة في اسبانيا ، وليس  
من حقها أن تدخل أى دولة من دول العالم ريثما توقع معاهدة  
الصلح بين هذه الدول وبين ألمانيا ، إلا إذا دخلت في صحبة فرقة  
راقصة تحمل عقدا بالعمل .. وأخوها « هانز » يحمل جواز  
سفر سويديا تبعا لجنسية والده ، وجان يحمل جواز سفر  
فرنسيا ، والعمة لوتى تحمل جواز سفر سويسريا اكتسبته  
بزواجها من أحد السويسريين منذ ثلاثين عاما

\*\*\*

شئ واحد كان يجمعهم ، وهو أنهم جميعا مشردون في الأرض  
ليس لواحد بيت ولا عائلة في أى بقعة من العالم ، انما يقضون  
حياتهم في البواخر وقطارات السكة الحديد والفنادق ينتقلون  
من بلد الى بلد يرقصون على الانعام ، وتصفو قلوبهم أحيانا  
فيمتلئ بالحب والفن والحياة ، وتقسو أحيانا فيحقدون على  
العالم الذى شردهم ، ويحقدون على القدر الذى يأبى أن يريح  
أقدامهم من الرقص والتنقل ، ثم يحقدون على الناس فينتقمون  
فيهم من العالم ومن القدر .. وهو دائما انتقام ناعم للممس ضعيف  
الأثر كلدغات النحل !

وكان هناك أمل واحد يلفهم جميعا .. وهو أن يكون لهم بيت  
يملكونه ويستقرون فيه ، ويكون لهم مطبخ يطهون فيه طعامهم



بأيديهم وكما يروق لهم ، ويكون له حديقة صغيرة يتنسمون فيها هواء لهم وحدهم لا يشاركونهم فيه أحد ، ولا تلوثه مداخن القطارات والبواخر ، ولا أبخرة الخمر ورائحة الدخان التي تزدحم بها إبهاء الفنادق والملاهي ..

\*\*\*

وكانوا عندما يجلسون بعضهم الى بعض في جلسة هادئة لا يتحدثون الا عن هذا البيت .. وقد اختاروا له مكانا على شاطئ الكوت دازير في فرنسا ، وأرسل جان الى أحد السماسرة ليختار له الارض ويساوم على ثمنها .. وتستطيع تشارلى عندما تتحدث ان تصف لك هذا البيت الموهوم وصفا دقيقا ، حتى لون الستائر ومواضع الأثاث ، وادوات المطبخ قد اختارتها بخيالها ، ولم يبق عليهم الا ان يحصلوا على المال الذى يدفعون منه الثمن ، وهم لهذا يقترون على انفسهم حتى في طعامهم ليدخروا ثمن اللحم الجميل الذى يعيشون فيه وله ..

كانت هذه هى العائلة التى قدمته اليها تشارلى ، وقد كانوا جميعا يعملون في ملهى « دولاروزيه » بروما ، ثم انتهى عقدهم ، وبقي على مدة اقامتهم في إيطاليا بضعة ايام قرروا ان يقضوها في كبرى في فندق فقير على ساحل « جراند مارينا » - اى البحر الكبير - واعتبروا انفسهم في اجازة .. وهى اول اجازة يمنحونها لانفسهم منذ خمس سنوات ..

\*\*\*

وقد أحب أفراد هذه العائلة .. أحبهم في مرحهم وفي أخلاقهم المتباينة وفي تحررهم من كل تقليد .. أو انه لم يحبهم ، انما وجد فيهم ما يليه عن أفكاره السوداء وهمومه التى جاءت وراءه من القاهرة ..

ودعاهم ليلتها ليقضوا الليل في فندق « تشرى اغسطس » أفخم فنادق الجزيرة وأشدها استقرابية .. ولكن تشارلى وعائلتها لا يعترفون بالفخامة الاستقرابية ، فما كادوا يصلون الى هناك حتى ملأوا المكان رقصا وضحكا وحياة ، وتحركت الدماء الباردة في عروق اللوردات الانجليز وأصحاب الملايين الأمريكين فاذا بهم ينزلون الى حلبة الرقص ويسلمون قيادهم للفتاة تحركهم كيف تشاء ، وتقودهم وراء جسدها الضئيل في رقصة السامبا ..

ثم انتقلوا الى فندق « الكوزيسانا » حيث يجتمع فتيات كبرى وشبانها في سراويل تلتصق على أجسادهن وأجسادهم فتبرز تفاصيل وثنيات تستحى منها عين من لا يزال يؤمن بفضيلة الحياء ، ويرقصون هناك الشارلستون والبولكا وهما الرقصتان اللتان تؤمن بهما كبرى هذا العام

وحتى بين الشبان والشابات وجدت تشارلى مكانا لها ، وأفسحت طريقها باتسامتها الساذجة التى تعلقها على جانب من شفيتها حتى وصلت الى مكان الفرقة العازفة لتغنى تارة بالانجليزية وتارة بالفرنسية أو الالمانية ، فيلتف حولها الراقصون والراقصات يلتقطون الانغام من بين شفيتها ويترجمونها الى قبلات !!

ثم انتقلوا الى « نمره ٢ » وهى حانة عجيبة تحت الارض زبائنها كلهم من صاحبات الملايين العجائز ، والشبان الذين يبيعون دماءهم للعجائز بالثمن ، والكلاب التى تستعيب بها العجائز عن حنان الابن والزوج والعشيق ..

\*\*\*

وهناك هدأت تشارلى وطلبت كوبا من اللبن الساخن - شىء

أبيض نظيف ، تفسل به سواد الليل ومجونه - والتفتت اليه  
وهي ترشف كوبها لتسأله :

- الا تزال وحيدا ؟!

وأجاب وهو لا يكاد يقوى على رفع جفنيه :

- لقد كنت وحيدا عابسا ، فأصبحت وحيدا ضاحكا !

- الا تفضل أن تكون وحيدا ضاحكا ؟

- نعم ..

- والفضل لى ..

- هذا صحيح ..

- اذن فسأبقى معك .. انيس كذلك ؟!

- أرجو ..

- لا ترجو ، فانى أريد أن أبقى معك !

ومضت ثلاثة أيام ..

كان دائما معهم حتى أصبح واحدا منهم .. وكانوا يتجهون  
في الصباح الى « المفارة الزرقاء » ليسبحوا عرايا كما ولدتهم  
أمهاتهم أو الى « البيكولو مارينا » ليسبحوا في حوض السباحة  
الذى أقامته المفنية الانجليزية جريس مور وأحاطته ببناء أنيق  
أطلقت عليه اسم « أنشودة البحر » .. وفي المساء كانوا يطوفون  
بملاهى كبرى وحاناتها يرقصون ويضحكون ويعبثون حتى الساعة  
الرابعة صباحا ..

\*\*\*

ولكن هل هذا هو كل شيء ؟!

انه لم يكن شيئا حتى هذه اللحظة الا مغفلا كبيرا ، فقد كان  
هو الذى يدفع دائما ، ويدفع للعائلة كلها بما فيها العممة «لوتى»

التي تستطيع أن تشرب زجاجة ويسكى كاملة ثم تكتشف انها  
لا تحب الويسكى !

وقد عرف اهل الجزيرة كلهم انه يقوم بدور « المغفل » لهذه  
العائلة ، واعتقدوا انه يحب هذه الفتاة الشقراء ضئيلة الجسم  
نحيلة الوجه ، التي تعلق ابتسامتها على جانب شفيتها ، والتي  
ترقص دائما وفي كل مكان ..

وهو لا يهमे أن يكون مغفلا بل انه يجد في التفهيل راحة من  
عناء الكبت الذى يعانیه في القاهرة ، وراحة من ذكائه الذى يكدحه  
في خلال الشهور التي يعمل فيها

ولكن هل هو يحب هذه الفتاة ؟!

ولكن هل هى تحبه !!



ان قصتها معه لم تبدأ بعد ..  
وقد بدأت عندما التقى في صالة الطعام بالفندق الذى يقيم  
فيه - « باجانو فيتوريا » - بانسة امريكية في حوالى الثلاثين  
من عمرها ..

كانت تجلس وحيدة على المائدة المجاورة .. وتبادلا الابتسام  
كما يحدث عادة بين نزلاء الفندق الواحد ، ثم تبادلا الحديث ثم  
انتقل الى مائدتها ، ثم دعاها الى قضاء اليوم معه في كازينو  
« اغنية البحر » ..

لم تكن جميلة ، ولكنها كانت أنيقة ، وكان أهم ما فيها انها  
امريكية ، وللأمريكيات سحر خاص في نظر طلاب المغامرات .  
سحر يرسمه الدولار وترسمه أفلام هوليوود .. ولا تجد مصريا  
يذهب الى أوروبا الا وهو يتمنى أن يعود وعلى طرف لسانه مغامرة  
مع فتاة امريكية ، يرضى بها غروره ويتفاخر بها في منسيديات  
القاهرة ..

وكانت على النقيض من الراقصة تشارلى .. كانت متحفظة  
هادئة ، تخلق في كل لحظة موضوعا يفتح بابا واسعا للمناقشة ،  
وهي تفضل دائما المناقشات السياسية او المناقشات التى تدور  
حول علم النفس ونظريات فرويد وبونج

وقد عرف أنها تعمل مساعدة طبيب في مدينة نيويورك ، وكان يبدو أنها قرأت كثيرا ، وانها حادة الذكاء ، كما كان يبدو انها يهودية ، وقد تأكد له انها يهودية عندما تناقشا فيما بعد حول قضية فلسطين !

\*\*\*

وعرف انها تطوف بأوروبا لأول مرة ، وانها لم تجد في طوافها ما كانت تنتظره ، فقد زارت جميع الكنائس ، وجميع الاماكن التاريخية ، وطافت بالجبال والوديان وبالطاعم والحوانيت العالمية ، ولكنها كانت دائما وحيدة .. لا تتحدث الا حديثا عابرا ، ولا تلتقى الا باناس عابرين .. وهى تريد رجلا يجانبها يشاركها الاعجاب بما تراه ، وتستند الى ذراعه عندما تقف على قمة الجبل ساعة الغروب ، وتلتصق بصدرة عندما تسمع لحنا حنونا راقصا ، ثم تغفو لتنام وصورته معلقة تحت أجفانها ..

وقالت له وهما في طريقهما الى الميدان الصغير ليستقلا سيارة تحملهما الى الشاطيء :

– لقد رأيتك أمس بصحبة فتاة شقراء !!

– انها تشارلى .. راقصة المانية رأيتها في القاهرة ، وعرفتها هنا في كابرى ..

وسكنت قليلا ثم عادت تقول في صوت خفيض دون أن ترفع عينيهما اليه :

– هل هي حبيبتك !!!

وقبل أن يجيب ، رفعت رأسها وقالت مستدركة :

– لا تجب .. انى أعرف انه سؤال بايخ !

وأجاب :

– بالعكس انه سؤال طبيعى ويهمنى أن تعرفى انها ليست

حبيبتي .. كل ما هنالك انها استطاعت أن تخفف من وحدتى ،

ثم انها موضوع شيق لقصة أكتبها ..

وابتسمت ابتسامة واسعة كادت أن تصل ما بين اذنيها وقالت في صوت مرح وهى تضع ذراعها فى ذراعه :

– انتظر حتى تسمع قصتى !

وكانا قد اقتربا من الميدان الصغير عندما قال لها :

– اننا سنلتقى الآن بهم فانى على موعد معهم .. تشارلى

وعائلتها .. هل يسوؤك أن تكونى فى صحبتهم ؟!

وغاضت ابتسامتها حتى كادت تتلاشى ، ومرت سحابة سوداء فوق وجهها ، وأجابت وهى تحاول أن تبدو فى مظهر عدم المبالاة :

– ابدا .. انهم اصداؤك ويسرنى أن أعرفهم ..

وقال وكأنه يطيب خاطرها :

– انى فى أوروبا لا أنتقى الاصدقاء ولكن التقى بهم !!

وصولا الى الميدان ، وكانت العائلة كلها فى انتظاره ، وما كادوا يرونه بصحبة الفتاة الامريكية ، حتى صاحت تشارلى وهى تعض ابتسامتها بأسنانها :

– يظهر أنك لا تحب أن تضيع وقتك عيئا !!

ثم تقدمت ووقفت امام الفتاة ، ونظرت اليها فى وقاحة !

وصاح جان من خلال ضحكته المائنة المتهدجة التى تقطر أنوثة :

– هالو .. كازانوفو !!

ثم مال على هانز يسند رأسه على كتفه ، ويدفن وجهه فى عنقه وكأنه فتاة تشم رائحة فتاها !

واكتفى « هانز » بأن لوى شفتيه ، ثم أحنى رأسه للفتاة احناءة عتيقة على الطريقة الالمانية

وصاحت العمة لوتى بصوتها المنفر الحاد :

— ان لدينا اخبارا جديدة هذا الصباح .. ارجو أن تكون اخبارا سارة !!

ثم نظرت الى الفتاة من فوق الى تحت !  
وقدمها اليهم باسم « جينى » ..

\*\*\*

وتحملت جينى هذه التعليقات الساخرة التى استقبلوها بها ،  
في شمم وتعال بعد أن وضعت على شفيتها ابتسامة استقرائية  
ووقف حائرا هو بين الفتاتين ..  
وسأل نفسه : ايهما يختار ، لو فرض وكانت له حرية  
الاختيار !؟

ووجد نفسه يحمق في كل منهما يحاول أن يستشف شخصيتها  
من وراء عينيها ..

تشارلى ذات الشخصية المرحة الجريئة التى لا تخلو من وقاحة  
في اطار من خفة الدم .. وجينى ذات الشخصية المحفوظة الجادة  
التي تنظر الى كل ما حولها نظرة علمية ، وتناقش — حتى  
عواطفها — مناقشة فلسفية على أسس علم النفس

وكانت تشارلى اجمل من جينى — في نظره على الاقل — ولكن  
الجمال المجرد لم يكن له تأثير في حياته قط ، واجمل من التقى  
بهن كن دائما ضعيفات التأثير عليه ، ولم تستطع واحدة منهن  
أن تمتلك قلبه ولا اعصابه ، فهو دائما يبحث وراء الشخصية ،  
وطالما أحب شخصيات جميلة في اطار خلو من الجمال ، وكان  
يعتقد ان المرأة الجميلة تكتفى بالانكال على جمالها فلا تحاول تربية  
شخصيتها ولا ذكائها ولا تحاول أن تحرك عواطفها ، انما تترك  
نفسها قطعة من الثلج الابيض تنوب ولا تذيب ، وتمتع عين الرجل

ولا تمتع قلبه ..

أما المرأة التى ينقصها الجمال الكامل أو التى لا تحس بجمالها ،  
فانها تستعيز عن هذا النقص باشغال عواطفها وبالحنان الذى  
تسبغه على رجلها ، وبالذكاء الرقيق الذى تعامله به ، وبالليونة  
الناعمة التى تقنعها بها انه سيدها .. وهو دائما يريد أن يكون  
السيد ! ..

\*\*\*

ولم يكن للحب دخل في منطقته وهو يحاول أن يفضل بين  
الفتاتين ، فلم يكن — حتى هذه اللحظة — يحس بالحب نحو  
احدهما .. لم يكن يحب تشارلى ، ولم يكن يحب جينى ..  
انما كل منهما كانت بالنسبة له صديقة يقضى في صحبتها وقتا  
طيبا .. ولا أكثر ولا أقل من الصداقة ! ! ..

كما لم تكن أى من الفتاتين تحبه ، فكل منهما لا ترى فيه الا  
رجلا مهذبا ، يصحبها ويدعوها الى الفداء أو العشاء ، ويدفع  
لها كأسا هنا وكأسا هناك ، وتكتفى منه بضغطة على اليد أو  
بضمة الى الصدر عندما يراقصها ..

وقطعت عليه تشارلى مناقشته لنفسه ، فقد بدأت تقفز  
وتفنى من جديد ، وتكلم باللغات الخمس التى تجيدها ، كلاما  
فارغا تافها يثير الضحك .. حتى جينى اضطرت أن تضحك

واقترحت تشارلى أن يستأجروا قاربا بخاريا يطوفون به  
حول الجزيرة الصغيرة كلها

ووافق الجميع على الاقتراح ، ما عدا جينى فهى لم توافق  
ولم تعارض انما هزت كتفيها وانقادت مع الجميع ..

وكان يبدو ان كلا من الفتاتين تريد أن تسيطر بشخصيتها على  
الاخرى وبالتالي تسيطر عليه ..

وقد أرادت جيني أن تجذبه نحوها بأن تلفه في طيات من الحنان والاهتمام ، كانت تقول :

« تعال هنا .. لا تجلس في الشمس حتى لا تؤذى عينيك » وكانت تقول عندما يدفع الحساب :

« دعنى اعد لك تقودك حتى لا يستغفلك احد ! »

وكانت تلمح قطرات العرق فوق جبينه فتسحب مندبله وتغففه له .. الخ !

\*\*\*

كان حنانا مفتعلا أحرجه وأخجله ..

وكانت تشارلى ترى هذا النوع من الحنان فتبتسم ابتسامة صفراء ، وتعلق ساخرة : « ما الطفك من فتاة » أو « دعيه حتى لا تفسدى الطفل الكبير ! » ثم كانت تلتفت اليه وتصيح : « هالو هارون الرشيد .. أين بقية جوارى الحريم ، انى لا ارى منهن سوى اثنتين ! »

وكانت تلقى بهذه الكلمات التهكمية وهى واثقة من نفسها .. وكانها واثقة من انها تستطيع ان تسيطر عليه وان تملكه عندما تريد وكيفما تريد .. واثقة من ان لديها سلاحا لا يستطيع مقاومته ، ولا تستطيع الفتاة الاخرى ان تجاربا فيه ..

وقد شرعت هذا السلاح عندما أصبحوا في القارب البخارى .. لقد خلعوا جميعا ثيابهم ، وأصبحوا في ثياب البحر ليعرضوا اجسادهم للشمس ، وشغلت جيني نفسها - وقد رفضت أن تخلع ثيابها - بأن أخذت ترتب له ثيابه التى خلعها في ركن من القارب ، معتقدة انه ينظر اليها ممتنا ، ولكنه كان ينظر الى جهة اخرى ..

كان ينظر الى تشارلى وقد بدت امامه جسدا عاريا رقيقا

متناسقا مثيرا لا يغطيه سوى « مايوه بيكىنى » .. عشرة سنتيمترات من القماش الملون تغطى الجزء الاسفل ، وخمسة سنتيمترات تغطى صدرها الاثيق ! ..

وارتفع بعينيه الى وجهها الصغير النحيل ، فوجدها تعلق ابتسامتها الطيبة الساذجة على جانب من شفيتها ، بينما شعرها الاصفر الطويل يتطاير حولها كأنفام هائمة تطوف في موكب آلهة البحر .. وكان في عينها الزرقاوين تحد عنيف ، وصرخة امرأة موجهة اليه : « حاول الآن أن تختار بيننا ايها الرجل !! »

\*\*\*

ولم تنتظر جوابا على سؤال عينها ، بل استدارت له والقت بنفسها بين ساقيه ، وهو مستند في جلسته الى جدار القارب ، ملصقة ظهرها بصدرة ، ثم مدت ساقها بعيدا ونظر الى جيني فاذا الدماء تغلى في رأسها حتى أحرقت اذنيها، ثم اذا بها تدير عينها الى البحر حتى لا ترى ..

ونظر الى هانز ، فاذا به لا يهمه شيء الا ان يلف ذراعه حول خصر صديقه جان ..

ونظر الى العمدة لوتى فاذا بها تقرا كتابا وترفع عينها من فوق الكتاب لتبتسم فخورة بتشارلى ..

لقد تركوه وحيدا معها .. مع هذا الجسد المثير الناضج الملقى بين ساقيه ! ..

وأحس بشعرها الاصفر المتطاير في الهواء يدغدغ وجهه وأحس بأنفاسها تضرب صدره ..

وأحس بها وكأنها تتلوى فوق أعصابه كقطعة من الجمر ورفع كفيه وقبض على كتفيها ، وأحس ان اصابعه قد تجمدت فوق هاتين الكتفين ..

ثم أحس بكل الوجوه التى تحيط بهما تتبعد عنهما .. تتبعد  
الى بعيد جدا .. وانهما اصبحا فى عالم هائم على طيات الأثير ..  
ليس فيه جينى ، ولا هانز ، ولا جان ، ولا العمة لوتى ..  
ثم أحس وكأنه يقاوم نفسه ، واذا به يبذل مجهودا عنيقا  
ليدفع الفتاة عن صدره ، ثم يقفز واقفا على قدميه فوق حافة  
القارب ، ويلقى نفسه فى البحر بفتة ، ثم يضرب الماء بدراعيه  
ضربات عنيفة قاسية وكأنه يريد أن يقتل الوحش .. الوحش  
الذى يسمونه أحيانا « الرجل » !

وعندما وقف القارب ريثما يعود اليه ، نظر الى تشارلى  
قرأها بتبسم .. الابتسامة الطيبة الساذجة التى تتدلى على  
جانب من شفيتها ، ولكن كان فيها معنى جديد ..  
معنى التشفى والانتصار ، وكأنها علمته ألا يعود إليها مرة  
أخرى بفتاة مثل جينى !

\*\*\*

ولم يمض اليوم كما مضت جميع الأيام  
كان قد ادخل بينهم عنصرا جديدا أفسد عليهم الصداقة التى  
كانت تربطهم جميعا ..

بدأ يحس بأعصابه تتوتر ، وبدأ يفسر كل لفظة وكل كلمة  
تفسيرا جديدا .. تفسيرا رجل يشتهى ويتمنى ويريد أن يرضى  
غروره ، ولو ضحى براحته وسكينته نفسه .. وبدأ الانسان فيه  
يضعف أمام طفيان الذئب الذى يعوى فى صدره ويسيطر على  
رأسه .. !

وبدت جينى وكأنها تشعر بخيبة الأمل .. كانت تمنى نفسها  
بيوم هادىء جميل فى صحبة رجل مهذب ، فانقلب يوما متوترا  
اضطرت فيه أن تخوض معركة بينها وبين امرأة أخرى .. معركة

ستلحقها فيها الهزيمة لأنها لا تملك سلاح غريمتها .. لا تملك  
هذا الشعر الاصفر الذى ينسدل كشلال من ذهب ، ولا تملك  
هذه الابتسامة الساذجة الطيبة التى تتدلى على جانب من  
الشفيتين ، ولا تملك هذا الجسد الضئيل المتناسق المشير ، ثم انها  
لا تستطيع أن تتعري بنفسها بين أحضان رجل .. هكذا أمام  
كل الناس .. ولا تستطيع أن تنطق بهذه الكلمات الوقحة المثيرة  
الجريئة التى تفتح أبواب الأمل أمام الرجال ..

ورغم ذلك فكانت لا تزال تحاول .. كانت تنظر اليه بين  
الحين والحين وفى عينيها نداء هادىء مهذب ، وكانت بين الحين  
والحين تضغط على يده ضغطة عابرة ، أو تضم ذراعه ضمة  
خفيفة ، أو تسمعه كلمة معبرة فى غلاف من ابتسامة رقيقة ..  
وكان يحرص دائما أن يبادلها هذه اللفتات !!

\*\*\*

ولم تعد تشارلى تضحك وتقفز وترقص وتتكلم كلاما فارغا  
كما كانت عادتها ، بل كانت أحيانا تصمت .. وتصمت طويلا ..  
ثم ترفع اليه عينيها وتدور فى أنحاء وجهه ، ثم تعود الى صمتها  
الطويل .. ثم خرجت مرة عن صمتها ملتفتة الى جينى ، وقالت  
فجأة فى صوت يشبه الصراخ :

— الا ترين ماذا يريد هذا الرجل ؟ .. انه يريد أن تفار احدانا  
من الأخرى حتى يملكنا نحن الاثنين .. انه اسلوب قديم يستعمله  
الرجال .. وكان يجب أن تكونى من الذكاء بحيث تلمحينه ..  
لماذا جئت معه ؟ .. وما دمت قد جئت فلماذا تفازلينه ؟ ..  
لا تنكرى فانى امرأة مثلك .. لقد كنت سعيدة معه ، ولم يكن  
يكلفنى شيئا سوى أن أملا فراغ أيامه فى كابرى ، أما الآن فانى  
مضطرة أن أمنحه الكثير لأمنعه عنك .. هل تفهميننى ؟ .. لقد

كنت في اجازة ، ولكنني اشعر الآن اني عدت الى العمل وانى  
يجب ان اعامله بنفس الاسلوب الذى اعامل به الرجال الذين  
يترددون على الكاباريه .. وكل هذا بسببك ، لقد افسدت  
اجازتى .. ولا تدهشى لصراحتى فانى هكذا دائما !!

وكانت جينى تسمع هذا الكلام مبهورة الانفاس ، تغطى وجهها  
بكفيها احيانا ، وتسد اذنيها باصابعها احيانا اخرى .. ثم وقفت  
وقد احتقن وجهها كأنها تكبت نارا في جوفها ، وقالت وهى تحاول  
ان تخرج من بين شفيتها صوتا هادئا : « اظن اننى يجب ان  
اعود ، فانى اشعر بصداع » !

\*\*\*

وهب واقفا بجانبها - وكانوا ساعتها جلوسا حول بركة  
السباحة في كازينو « انشودة البحر » - ثم التفت الى تشارلى  
وقال وهو يحاول ان يجعل من كلماته صفعات على وجهها :

- لقد كنت اعلم انك راقصة ، وكنت اعلم انك وقحة ..  
ولكننى لم اعلم ان الراقصات يستطعن ان يكن على هذا القدر من  
الوقاحة .. واحب ان اقول لك انى انا الذى دعوت جينى لتكون  
معنا ، والبحت عليها ، ثم اكدت لها انك لست شيئا بالنسبة  
لى .. وكنا نستطيع ان نكون جميعا اصدقاء لولا انك وقحة ،  
ولولا انك انانية تريد ان كل شىء لك وحدك .. ولكننى لن اكون  
لك ابدا .. انك لا شىء سوى سيارة اجرة ادفع ثمن الوقت  
الذى اقضيه فيها .. و ..

وصرخت في وجهه :

- اخرس .. انى اساورى الفا من امثال هذه ( مشيرة الى  
جينى ) .. الا تعلم انها يهودية ؟ الا ترى شكل اذنيها وانفها  
المقوس ؟ من يحمل هاتين الاذنين وهذا الانف الا اليهوديات !!؟

الا تعلم انى المانية .. و ..

وكانت جينى قد ادارت ظهرها واتجهت نحو باب الخروج في  
خطوات مترنحة تحاول ان تسيطر عليها حتى لا تقع مفشبا  
عليها ، فلحق بها وهو يكرر فى صوت مسموع : « اينها الوقحة ..  
اينها الوقحة » !!

ولم يكذب يخطو عدة خطوات بجانب جينى ، حتى سمع صوت  
تشارلى تصرخ من ورائهما :

- انتظر ..

ولم ينتظر ، فلحقت بهما وسارت بجانبه .. سار ثلاثهم  
صامتين لا ينس احدهم بكلمة ، ولا ينظر احدهم الى الآخر ..  
بينما تركوا بقية العائلة - هانز ، وجان ، والعمة لوتى - حيث  
كانوا ، دون ان يحاول واحد منهم ان يلحق بهم ، او يسألهم  
الى اين ، او يعلق بكلمة .. وكان ما حدث كان شيئا طبيعيا  
بالنسبة لهم ، يمكن ان يحدث كل يوم

\*\*\*

وعندما وصلوا الى السيارة التى تحملهم الى قلب الجزيرة ،  
لم يدع تشارلى الى الركوب ، ولكنها ركبت من تلقاء نفسها  
وجلس بجانبه .. وكان يستطيع ان يطردها او يقذف بها من  
السيارة .. ولكنه لم يفعل ، وبقي صامتا منكسا راسه ، ثم  
حاول خلال الطريق ان يطيب خاطر جينى ، فمد يده وامسك  
بيدها وضغط عليها ، وهو يحاول ان ينظر اليها مبتسما ومعتذرا ،  
فاذا بها تسحب يدها من يده فى رفق ، وتنظر اليه بعينين  
ساخرتين ، وتبتسم له ابتسامة باهتة نصفها احتقار ونصفها  
شفقة ، او كأنها تريد ان تقول له : « انك رجل ضعيف تافه » !



ولكنها لم تقل شيئاً وادارت رأسها وعلقت عينيها بأشجار الطريق ! ..

ووصل الى الميدان الصغير الذى يتوسط الجزيرة ، واعتقد ان خير ما يستطيع ان يفعله حتى يخفف من حدة التوتر - وكانت الساعة قد بلغت العاشرة مساء - هو ان يدعو نفسه ويدعو الفتاتين الى كأس فى الحانة التى تسمى « نمره ٢ » .. الحانة التى تنزل اليها تحت الارض والتى يؤمها صاحبات الملايين العجائز ، والشبان الذين يبيعون دمائمهم للعجائز بالثمن ، والكلاب التى تستعيب بها العجائز عن الابن والزوج والعشيق ! وقبلت تشارلى الدعوة فوراً ..

وقبلت جينى بعد الحاج ..

وما كادت تشارلى تدخل الحانة حتى بدأت تقفز وتقنى وترقص من جديد وبدأ جميع الزبائن يفتنون معها ويرقصون معها .. وكانت تلتفت بين قفزاتها وأغانيها فتجده جالسا فى صمت بجانب جينى حول مائدة بعيدة لا يتكلمان ولا حتى يتسلمان .. !

\*\*\*

كانت جينى ما تزال مجروحة الكرامة ، وكانت شخصيتها تضعف دائماً عندما تكون فى مثل هذه الحالة ، حيث تستطيع تشارلى - او اية راقصة - ان تنتصر عليها وتسحق شخصيتها ..

فهى لا تجيد الا المناقشات الحدية العلمية ، ولا تستطيع ان تمنح الرجل اكثر من العنان الهادئ الوقور الخافت ، وكل ذلك لا يصلح هنا ، وربما كان لا يصلح فى كبرى كلها ولا مع مثل هذا الرجل الذى يريد هزات عنيفة لينسى همومه ومشاكله .. ولم تدعه تشارلى لجينى ولا للصمت طويلاً ، فما كاد ينتهى

من كأسه الثانية حتى جاءت اليه وجذبه من ذراعه ثم اتجهت الى « البيانو » حيث اعتاد ان يعزف موسيقار أمريكى مشهور - هكذا يقول الاعلان المعلق على الحائط - وهو يفنى بصوت مذبوح لا يستطيع ان تتذوقه الا اذا كنت من مدمنى الحانات . ورجت العازف ان يخلى مكانه ، ثم جلست على مقعد العزف وصاحت فى الزبائن وهى تضحك :

- ان هذا السيد الكريم سيفيننا اغنية مصرية رائعة !!  
وأشارت اليه ..

وصفق الزبائن وهللوا ..

ثم بدأت تعزف اللحن المصرى المشهور : « آه يا زين العابدين ! » ..

وهو يستطيع ان يفنى بعد الكأس الثانية ، وسبق ان غنى لها هذا اللحن بالذات عدة مرات ، ولكنه تردد هذه المرة واحتفظ حيناً بوقاره .. فبدأت هى تفنى بلهجتها العربية المضحكة التى التقطتها اثناء اقامتها فى القاهرة ، فاذا هو ينساق معها ، ويعنى ويرتفع صوته بالغناء ويصفق الزبائن على دقات اللحن ، ثم يقوم بعضهم وبعضهم يرقصون رقصاً شرقياً مضحكاً ..

\*\*\*

وساد مرح وهرج جميل ، وضحك حتى ثملت عيناه بالدموع .. وعندما انتهى اللحن ، وهذات عاصفة المرح ، تذكر جينى ، فالتفت الى حيث كانت تجلس ، فلم يجدها . لقد اختفت .. !

واندفع نحو الباب يريد ان يلحق بها ، ولكنه قبل ان يخرج سمع لحناً رقيقاً كانت تشارلى تعلم انه لحنه المفضل ، وكانت تعلم انه يتأثر به الى حد ان يبكى أحياناً له .. وسمع العازف

الامريكى يفتنى بصوته المذبوح كلمات اللحن ، ثم سمع صوتها  
وهى تترنم معه كأنها ترتل انشودة دينية فى معبد مقدس ..  
كان اللحن يسمى « قلبى الساذج » ..  
وكانت كلماته تقول :

« ان الليل كلحن ساذج .. فاحذر يا قلبى الساذج !  
« والقمر مضى أبدا .. فاحذر يا قلبى الساذج !  
« احذر فهناك فارق دقيق بين الحب والخيال .. فارق  
لا تستطيع ان تراه فى ليلة كهذه .. فكلاهما يمنحك نفس الشعلة  
العاطفية ، عندما تجد نفسك ضائعا فى سحر قبلة  
« فاحذر .. يا قلبى الساذج !! ..  
ووقف عند الباب لا يخرج ولا يتحرك ..

ونسى جينى ، ونسى نفسه ، واحس بقلبه الساذج يتلوى فى  
صدره تأنها بين خياله وجهه .. خياله الذى يلاحقه فى كل مكان ،  
وجه الدائم العبقري المقيم الذى تركه فى القاهرة حيث اعتاد  
ان ينتظره فى صبر هادىء كلما غادره فى رحلة الى أوروبا !

\*\*\*

وعندما انتهى اللحن ، وجد نفسه يدير ظهره الى الباب  
ويعود اليها ..

عاد اليها دون ان تدعوه ، وكأنها كانت واثقة ان هذا اللحن  
كفيل بان يعيده اليها

ورأى على وجهها ابتسامتها الطيبة الساذجة ، ولم يرها من  
قبل فى مثل هذه الطيبة والسذاجة .. والحنو !  
ووضعت ذراعها فى ذراعه ، وجذبته معها ، وهى تقول :  
- كفانا من هذه الحانة .. !

وعندما اصبحا فى الطريق سألهما فى صوت يحشرجه خياله  
المشتعل :

- الى اين .. ؟

- الى الفندق ..

- فندق من ؟

- فندقنا !!

- ولكنك تقيمين فى فندق غير الفندق الذى اقيم فيه !

- من قال هذا ؟ لقد حجزت غرفة فى فندقك هذا الصباح !  
وكانت كاذبة ..

ولكنها ذهبت معه الى الفندق الذى يقيم فيه ، وحجزت  
لنفسها غرفة وادعت ان حقائبها ستصلها فى الصباح ..

وعندما وصلا الى حيث يجب ان يفترقا ، ويمضى كل منهما  
الى غرفته ، وقفا صامتين وفى عينيهما سؤال واحد ، لا يستطيع  
أحدهما ان يجيب عليه

وافترقا دون ان يقول أحدهما للآخر مساء الخير !

ودخل غرفته ، والتقى بنفسه على مقعد وبدأ يدخن سيجارة  
ويحرقها فى قسوة وكأنه يريد ان يحرق خيوط قلبه ، ثم قام  
بخلع ثيابه ..

\*\*\*

وقبل ان ينتهى من ارتداء بيجامته سمع طرقا خفيفا على  
الباب فصاح دون ان يسأل من بالباب :

- ادخل ..

ودخلت ..

واغرق فى الضحك ..

كانت ترتدى « روب دى شامبر » فضفاضا واسعا يتكاد

يلعها ، وكانت تربطه حول خصرها بمنشفة كالتى اعتاد ان يجفف بها وجهه !

وقالت وهى تضحك وتدور حول نفسها :

— ما رايك فى هذه الموضة الجديدة .. لقد اقرضتى الخادمة هذا الثوب ريثما تصل حقائبى فى الصباح

وخيل اليه ان هذا الثوب هو اجمل موضة رآها فى حياته .. وكف عن الضحك وركز عينيه فى عينيه وبينهما نداء صارخ .. ثم خطا نحوها فاذا بها تفلت من طريقه ، وتوجه الى الشرفة ، قائلة فى صوت ناعم :

— ان شرفتك تطل على البحر ، لهذا جئت اليك ، فانى لا استطيع النوم قبل ان ارطب صدرى بمثل هذا الهدوء !

وخرج وراءها الى الشرفة ، ووقف بجانبها ، ثم احس بذراعه يلتف حول خصرها ، ثم يجذبها اليه ، ويطل بشفتيه فوق شفيتها ، وقبل ان يلتقيا ، تكلمت دون ان تبتعد عن صدره :

— انى استطيع ان احبك ، ولكنى لا اريد .. واستطيع ان امنحك نفسى ، ولكنى لا اريد .. لانى لا اريد ان احبك !

وقال وصوته لا يكاد يخرج عن حلقه :

— لا تقاومى .. فالليل لنا !

— انى فى الليل انتظر الصباح .. ثم انى تعودت ان اقاوم حتى نفسى .. ان حياتى كلها سلسلة من المقاومات .. دعنى اروى لك قصتى لعلك تفهمنى وتعذرنى ! ..

كانت تتكلم بصوت ناعم هادىء كأنغام قيثارة بريئة وإبتعدت عنه ، وأسندت رأسها على العمود الحجري ، وبدأت تروى قصتها ..



وترددت طويلا قبل ان تبدأ فى رواية قصتها ، وكأنها تبحث فى رأسها عن خيوط ضائعة ممزقة تحاول ان تصلها لتجعل منها خيطا واحدا ..

واختلجت عينها الزرقاوان الصغيرتان وهى تبحث بين طيات الضباب الاسود عن الماضى البعيد .. الماضى الذى ذاقت فيه الجوع والتشرد والحمران ، وتعلمت منه كيف تنام بعين واحدة ، وكيف تقف على اطراف اصابعها دون ان تستند على أحد ، وكيف تجعل من الايام عملية مرتبة الأرقام لا حساب فيها للعاطفة ولا للاحاساس ، وكيف تجعل من الحياة كلها معركة كبرى يجب ان تبدأ بالانتصار على النفس ، وسوقا مكتظة ، كل شىء يباع فيها ويشتري بالثمن المحدد .. !

وخيل اليه انها تريد ان تبكى وهى تنتقل به الى الورا حيث ولدت فى مدينة فرانكفورت بألمانيا ، بل خيل اليه انه رأى الدموع فى عينيه .. ولكنها كانت دائما أقوى من الدموع .. ولو ضعفت لحظة واحدة أمام دموعها فستبكي العمر كله

كانت طفولتها معذبة ..

كانت فى الثانية من عمرها عندما ماتت أمها ، وعاشت فى كنف أب سكير ، كان عاملا فى أحد المصانع ، وكان يصحبها بعد انتهاء

عمله الى الحانة لتنتظره طويلا ، صامته هادئة .. ترى الرجال من حولها في وجوه منفرة ورائحة كريهة ، فتعلمت كيف تكرههم ، وتعلمت الا تخافهم !

وكانت أحيانا تنام في الحانة تحت أقدام الرجال .. كأنها كلبة لا يحس بها أحد ، بل ربما لو كانت كلبة لأحسوا بها ولأثارت اهتماما لا تثيره فتاة في الثالثة أو الرابعة من عمرها ، صفراء ضعيفة ضئيلة الجسم

\*\*\*

وانتقل والدها من ألمانيا الى بولندا حيث وجد عملا خيل اليه انه خير وأبقى .. وانتقلت هي من حانات فرانكفورت الى حانات وارسو .. تنتظره الى ان ينتهي من خمرة ، بينما تقضم قطعة الساندوتش التي يلقي بها اليها ، ثم تنام تحت الموائد بين أقدام المخمورين ..

ورغم ذلك كانت تحب والدها ، فقد كان لا ينساها أبدا حتى في أشد حالات سكره .. وقد تعودت كلما كبرت ان تهتم به ، وأن تدبر له البيت الصغير الفقير الذي يقطنان فيه ، وتعودت أن تودعه في الصباح وأن تنتظره في المساء ، وأن تصحبه الى الحانة .. كان لها كل شيء .. تهتم به ويهتم بها .. وفجأة فقدت هذا الشيء .. فقدته في الحرب .. وبكت عليه ، أو انها بكت على نفسها عندما أصبحت وحيدة ضائعة يصحبها الخوف والحيرة والجوع !

وعطفت عليها عائلة مجاورة فأوتها نظير المبلغ التافه الذي باع به الأثاث الذي تركه والدها ، ونظير معاش ضئيل تصرفه لها الحكومة الألمانية .. وكانت هناك شبه خادمة ، تكس وتفسل وتتحمل في صبر وانفة لدعات سيدة الدار ..

وتذكرت في هذه الأثناء أن لها اخا من امها يعيش في السويد ، كانت قد سمعت به ولكنها لم تكن قد رآته ، فبدأت ترأسله ، وترجوه أن يدعوها لتعيش معه .. ووعدته بأن تكون أى شىء يريد .. ولم تكن تخاطبه باسم العاطفة ولم تكن تحاول أن تثير شفقتة عليها ، فهي لا تؤمن بالعاطفة ، أو ان العاطفة لم يكن لها تأثير في حياتها .. فقد أحبت والدها لأنها كانت في حاجة اليه ، ثم جاءت لتعيش بين هذه العائلة لأنهم في حاجة الى معاشها الحكومى ، وفي حاجة الى خدماتها الصغيرة

وأجابها اخوها بأنه لا يستطيع أن يدعوها اليه لأنها لن تفيده بشىء ، فقد كان هو الآخر لا يؤمن بالعاطفة ، ولكنه ذكر لها انها لو استطاعت أن ترقص فربما استطاع أن يضمها الى الفرقة التي يرقص بها ، فهو راقص محترف يعمل باحدى الفرق الراقصة ..

\*\*\*

ووجدت ان الرقص هو خير مهنة تستطيع ان تحترفها .. فبدأت ترقص .. كانت ترقص في حجرة نومها ، وترقص وهى تصعد وتهبط السلالم .. وترقص وهى سائرة في الشارع .. ولكنه كان رقصا فطريا مشوها تستوحيه من لا شىء ، وبلا فهم ثم التقت بسيدة كانت تزور العائلة التي تقيم معها وكانت مسافرة الى ايطاليا للتحقق بعمل هناك ، فصحبته .. وهناك في ايطاليا التحقت بخدمة عائلة غنية ، كخادمة ، أو مساعدة لخادمة .. والتحققت في الوقت نفسه بمدرسة لتعليم الرقص ..

وأذابت نفسها في ساقها حتى أصبحت راقصة .. راقصة تستطيع أن ترقص جميع الرقصات ، وتستطيع أن ترفع تحرك جسدها الصغير على أى نغم وكل نغم ، وتستطيع أن ترفع

ساقها حتى تصل بهما الى قمة راسها ، وان تلوى جذعها حتى لا تعرف أين امامها وأين وراءها !!

وأرسلت الى أخيها تنبئه انها أصبحت راقصة ، وانها رقصت بالفعل على مسارح روما ونابلى وميلان ، فأرسل اليها يدعوها الى لقائه فى اسبانيا حيث كانت تعمل فرقته الراقصة

\*\*\*

واللقت بأخيها لأول مرة ، وكانت فى التاسعة عشرة من عمرها .. ولم يتبادلا القبلات والدموع عندما التقيا ، فلم يكن بينهما ما يربطهما برباط العاطفة والأخوة ، بل نظر كل منهما الى الآخر نظرة من يشاهد شيئا معروضا فى احد الحوانيت التجارية . ثم بدأ فوراً يضعان شروط العمل ، وبدأ يتدربان على الرقصة التى سيعرضانها على الجمهور .. وكانت رقصة عينية قاسية ، يلقيها خلالها على الارض من عل ، ثم يرفعها بين ذراعيه ويطوح بجسدها وكأنه يطوح بسلسلة مفاتيح بين أصابعه .. وكان عليها أن تحتفظ بابتسامتها خلال كل ذلك ، وان تبدو كملك بريء منتش هائم على انغام الموسيقى !!

ونالت رقصتها نجاحا كبيرا وأصبحت عضوا بارزا فى الفرقة الراقصة ، وتكاد تكون الراقصة الأولى ..

وبدأت تنتقل مع الفرقة من بلد الى بلد ، وتعيش حياتها فى الفنادق والبواخر وقطارات السكة الحديد ، وتقضى لياليها ترقص ثم تجالس الزبائن نظير زجاجات الشمبانيا .. حياة قلقة لا تستقر ، ليس لها نهاية ، وليس لها هدف ، الا أن تحصل على لقمة العيش ، وتدخر مع أخيها ما يحقق حلمهما الأكبر فى أن يكون لهما بيت يملكانه ويستقران فيه ، ويكون لهما مطبخ يطهيان فيه طعامهما بأيديهما وكما يروق لهما ، ويكون لهما حديقة صغيرة

يتنسمان فيها هواءها وحدهما لا يشاركهما فيه أحد ، ولا تلوئه مداخن القطارات والبواخر ، ولا أبخرة الخمر ورائحة الدخان التى تزدهم بها ابهاء الفنادق والملاهي

وكانت تعلم ان حياتها هذه حياة هزيلة ، ليس لها ما يسندها ولا ما يضمن بقاءها .. انها حياة أرق من ورقة السيجارة تستطيع أى شرارة أن تحرقها وتأتى عليها ، ثم تتركها هشيما اسود تدوسه الاقدام .. ولن يحرقها الا شرارة بيعتها رجل تحبه !! ..

\*\*\*

رجل كالذى أحبته زميلتها « أنى » ، وهجرت مهنتها لتعيش معه ، ثم هجرها بعد سنوات وبعد أن حطم جسدها وتركه رخوا مهدلا لا يصلح للرقص .. رجل كالذى عاشرتة زميلتها الأخرى « كيتى » فنفخ فى بطنها ولدا ثم تركها لتدور به بين العواصم وتضطر أن تحترف البغاء لتؤوى هذا الولد وتموله

وهى تحتفظ أمام عينيها بصور جميع زميلاتها اللاتي حطمن حياتهن بين أذرع الرجال فأصبحن جرائم هائمة تتسكع فى الطرقات وتنام فى صناديق الزبالة .. وهى تخشى على حياتها أن تنتهى بعثل هذه الصورة ، ولكنها لا تخشى عليها من الرجال فقد تعلمت كيف تروضهم منذ أن كانت طفلة تطوف مع والدها الحانات وتنام بين أقدام المخمورين ..

وهى أيضا واثقة من أن الرجل - أى رجل - لن يستطيع أن يأخذ منها أكثر مما تعطيه ، ولن يستطيع أن يصل الى أبعاد مما تسمح له ..

لكنها تخشى على حياتها من نفسها ، فهى تعلم أن لها قلبا كيقية القلوب ، عرضة لأن يخفق بالحب ، وأن لها جسدا كيقية

الاجساد عرضة لان ينفعل ، ويتطلب ، ويثور وراء حقه  
وقد قضت حياتها كلها تقاوم قلبها وجسدها ..

وكانت في العشرين من عمرها وهى لا تزال عذراء ..  
وبدأت عذريتها هذه تضايقتها - هكذا كانت تقول ! - وبدات  
تحس انها لن تصبح امرأة كاملة لها ثقة المرأة بنفسها ، وزهو  
المرأة بانوثتها ، وسيطرتها القوية على من حولها من رجال ، الا  
اذا تعدت مرحلة العذارى

وكانت تناقش هذا الموضوع - موضوع عذريتها - مناقشة  
نفسية جنسية ، او مناقشة سيكولوجية فسيولوجية علمية ..  
فهى لم تكن تريد تعدى طور العذراء لتندفع في لذات الجسد ،  
بل فقط لتدخل في طور نفسانى جديد يضىف عليها سحر المرأة  
ويجعل لها جاذبية اقوى بين رواد المراقص

\*\*\*

وكانت تعمل ايامها في بيروت بينما هذه المناقشة العلمية تلح  
على راسها الى ان تمكنت منها ، فقررت قرارا حاسما ان تصبح  
امراة ! ..

وكانت قد التقت في بيروت بشاب من رواد الصالة التى ترقص  
فيها ، واحسنت نحوه بعاطفة اشبه بالحب .. كان قويا رائعا ..  
غنيا كريما ، وكان له كل ما تطمع فيه راقصة .. وكان يجب ان  
يكون اول من تفكر فيه عندما اتخذت قرارها الاخير ان تصبح  
امراة . وقد فكرت كثيرا وكانت صورته تلاحقها في نهارها وتندس  
معها في فراشها ، وتقلقها في نومها .. ورغم ذلك ابت ان يكون  
هو الرجل المختار .. فقد كانت تعلم ان الحب هو الشرارة التى  
تحرق حياة الراقصات .. تحرق ورقة السبجارة وتتركها هشيمًا  
اسود تدوسه الاقدام !

وفي ذات ليلة التقطت رجلا من بين رواد الصالة .. رجلا  
لا تعرفه ، ولا تذكر اسمه ولا تدرى اهو لبنانى أم جريكى .. ثم  
اسلمت له نفسها ليجعل منها امرأة !

وهى تذكر هذه الليلة جيدا .. لقد خيل اليها انها في غرفة  
عمليات بمستشفى طيب وقح .. واضطرت ان تشرب من كؤوس  
الويسكى اكثر مما تتحمل حتى تغيب عن الوعي .. وتذكر انها  
تألمت وانها تقززت ، وانها ارادت ان تقتل هذا الرجل حتى لا تراه  
ثانية فيذكرها بكرامتها التى بذلتها رخيصة بين ذراعيه ،  
وجسدها الذى امتهنته في سبيل فكرة حمقاء تمكنت من راسها  
 واصبحت امرأة ..

ولا تدرى الى اى حد تغيرت .. ربما أصبحت اشد انوثة ،  
واكثر ثقة بنفسها .. وابعد سحرا ، واقوى سيطرة على الرجال  
.. ولكنها متأكدة انها لم تصبح اسعد مما كان عليه حالها ، فان  
جسدها الصغير بدأ يورقها ، واصبحت في حاجة الى مضاعفة  
قوتها وعنادها حتى تقاوم نداءه ، وتقاوم جاذبية الرجال الذين  
يرووقون في عينها ..

وغادرت لبنان دون ان تسلم نفسها لرجل آخر .. حتى هذا  
الشاب الرائع ، الفنى الكريم ، لم ينل منها شيئا ، رغم كثرة  
ما بذله من اجلها  
وجاءت مع الفرقة الراقصة الى القاهرة ..

\*\*\*

وعندما وصلت من قصتها الى هذا الحد ، رفعت اليه راسها  
ونظرت اليه وهو جالس قبالتها على سور الشرفة المظلة على  
البحر وقد عقد ذراعيه فوق صدره العارى ، يستمع اليها صامتا

دون أن يعلق بشيء إلا بابتسامات تائهة ليس لها معنى ولا  
صدى ..

ثم قالت وهي تسحب من سيجارتها نفسا طويلا تريح به نفسها  
من قصتها :

— انى اقول لك كل شيء .. فهل تحتمل صراحتى حتى لو  
اغضبتك ؟ ! ..

« وقال متعجلا في لهجة حازمة :

— تكلمى .. لن اغضب !

\*\*\*

وعادت تروى قصتها :

« عندما وصلت الى القاهرة التقيت في الليلة الاولى بصديقك

« رفيق » .. هل تعرفه ؟ هذا الشاب الطويل واسع العينين

اسود الشعر ، الذى يتعثر في نطق كلماته حتى يخلع قلبك بين

كل كلمة واخرى .. لقد جالسته في الملهى .. وكان كريما مبذرا ،

بل كان اكثر من كريم ، واكثر من مبذر ، فقد استطاع — ومنذ

الليلة الاولى — ان يصل الى قلبى ويعصره بشدة ثم يخلعه من

مكانه ، واستطاع في رقة وفي أسلوب ناعم جميل ان يشعل الثورة

في فتندلع ساخنة ملتبهة في عروقى ، واحسست وانا بجانبه على

المائدة ان جسدى ينتفض ولن يهدأ الا بين ذراعيه

« ورغم ذلك فقد قاومته .. وقاومت قلبى وجسدى ..

وشعرت من شدة ما قاومت ان الدنيا تدور امام عينى ، وانى

ساقع مفشيا على وانا انصرف عنه مودعة معتذرة عن قبول

دعوته لقضاء بقية الليل في بيته ..

« وصدقتى ان هذه المقاومة استمرت ثلاثة اشهر .. كنت

خلالها اراه كل يوم ، فكنت الهى نفسى عنه بان اضحك مع بقية

الزبائن وارقص واغنى لهم ، واعب من الشمبانيا ما يكفى ليصرعنى

ورغم ذلك فان وجهه كان يلاحقنى دائما ، وكلماته المتقطعة التى

تخلع القلب ترن في اذنى من بين ضجيج الانفام وصراخ الزبائن ،

وكنت قد علمت انه معبود الراقصات ، وان له في كل ليلة مقامرة

جديدة ، بل انى كنت اشاهده بعينى يصحب راقصة او اخرى

من زميلاتى في آخر كل ليلة .. ورغم ذلك فلم استطع ان اتخلص

من الحاح خياله ، ولا من نداءه الصارخ الذى يأتينى كل ليلة

من بعيد .. وكنت اذهب لانام وحيدة ، فأتقلب على جنبى ثم

تنتابنى ثورة فأمزق الوسائد واغطية الفراش ، ثم اغرس اظافرى

في جسدى احاول ان امزقه هو الآخر حتى استريح منه ، ومن

النار الظمأى المدلعة فيه

\*\*\*

« الى ان كانت الليلة التى التقيت فيها بك .. هل تذكر ؟ لقد

سلطنى عليك اصدقاؤك لأداعبك بعد ان ابلغونى اعجابك بى ..

وقد جئت اليك وغازلتك في جراءة ووقاحة ، ثم طلبت منك ان

تنتظرنى حتى اخرج معك من الملهى آخر الليل .. وكنت اريد

ان تنتظرنى ، لا لانى احببتك من اول نظرة كما خيل اليك ،

ولا لانك اثرت في احساسا ما ، ولا لانى كنت اطمع في شيء منك ..

بل لان مقاومتى لرفيق ، او مقاومتى لنفسى ، كانت قد انهارت ،

وكنت متأكدة انى لن استطيع ان ارفض دعوته هذه الليلة ، وانى

سأستسلم له بقلبى وجسدى واحرق حياتى ومستقبلى بين

ذراعيه .. وكنت اريدك لاستعين بك على شحذ مقاومتى ، كنت

اريد ان احمى بك من نفسى ، فكنت سأخرج معك حتى لا اخرج

معه ، ولم اكن انوى ان امنحك شيئا من جسدى ، بل كان دورك

سينتهى عند باب الفندق الذى اقيم فيه حيث تتركنى للام قلبى

وصراخ جسدى .. اما لماذا اخترتك فلاننى لا أعرفك ، فلن  
أفضى اليك بشيء مما أقاسيه فإزداد اشتعالا ، ولأنى توسمت  
فيك انك شاب طيب ، ولأنك وسيم مهذب لن تكلفنى صحبتك  
ان اضفط على نفسى او أنافق من أجلك ..

« ولكنك لم تنتظر .. أيها الفادر .. وعندما عدت الى حيث  
«فرتك بجانب البار لم أجدها ووجدت مكانك « رفيق » ..  
ولم يكلمنى ، بل انه لم يتسم لى كما اعتاد ان يتسم لكل  
الناس .. انما أخرج من جيبه مفتاح بيته ووضع امامى ، ونظر  
الى نظرة صارمة وتركنى وانصرف

« ولحققت به فى بيته وكنت أعلم أين يقيم ، اذ انه سبق ان  
دعا راقصات الفرقة كلها الى عدة حفلات خاصة - وهناك  
احتوانى بين ذراعيه ، وعشت بين هذين الذراعين ساعة أيام  
انتهت بعدها مدة اقامتى فى القاهرة ، وسافرت مع الفرقة الى  
إيطاليا .. وكل ما فعله من اجلى هو ان جاء يودعنى حتى الباخرة  
فى ميناء الاسكندرية

\*\*\*

« وكان هذا كل ما يستطيعه .. لم يكن يستطيع ان يتزوجنى ..  
ولم اكن أستطيع ان ابقى معه بلا زواج .. ولم اكن أستطيع ان  
اتركه دون ان اترك معه قلبى ونبضات جسدى ثم أختفى عن  
عينيه ..

« وكان هذا هو كل نصيبى من حبى الاول .. وهو نصيبى  
من كل حب .. فلن التقى برجل الا لأترقق عنه ، ولن يخفق  
قلبى الا ليسكت ، ولن ينتشى جسدى الا ليهمد بين الأنين  
والتوجع ..

« وانت .. انى أستطيع ان احبك ، وقد تستطيع ان تنسينى

« رفيق » وان تخمد ذكرياته التى تركها فى جسدى .. ولكن  
الى متى ؟ انك ستعود الى مصر بعد أيام ، وسأتجه أنا الى روما  
ومن بعدها الى أمريكا الجنوبية .. فماذا تفيننى هذه الأيام  
القليلة التى أقضيها معك ! ولماذا أكلف نفسى ذكريات تلاحقنى  
دون ان أستطيع ان الحق بها ؟ ولماذا أندفع فى حب قضى عليه  
ان يولد فى الماضى قبل ان يعيش فى الحاضر ؟ الست على حق ! ..  
اليس هذا هو المنطق الذى يجب ان تعتنقه كل راقصة ؟ ..  
تكلم .. قل انى على حق » !!

وتكلم .. أجابها فى صوت يكاد يقطر دموعا ، وأمسك بكتفها  
فى حنان وهو يتسم لعينها اللائنتين ابتسامة يحاول أن يواسيها  
بها .. يواسيها فى ماضيها المعذب، وحاضرها الشقى ، ومستقبلها  
القلق :

— انك على حق .. ولكنى لم أطلب منك حبا .. تكفينى  
صداقتك .. ويكفينى ان تكونى سعيدة فى صحبتى !  
وأجابت وهى تبسم شاكرة ممتنة :

— هذا ما أرجو .. اننا تبادل السعادة كصديقين كل منا فى  
حاجة للأخر .. انى فى حاجة اليك لتدفع ثمن هذه الليالى  
الجيميلة وهذه الأيام الغالية ، وانت فى حاجة الى لاخفف من  
وحدتك واربح رأسك من همومك .. اليس كذلك ؟

— لا تتحدثنى عن الثمن ، فاننا لا نشترى ولا نبيع .. ولا  
تعاملينى كراقصة فى كباريه .. تذكرى انك فى اجازة وتذكرى  
اننا مجرد اصدقاء .. ونريد ان نبقى اصدقاء

— انفقنا .. واعتذر عن سوء التعبير .. والان دعنى أقبلك  
قبلة المساء .. كاصدقاء





وحاول ليلتها أن ينام ، ولكنه كان كلما أغمض حفيه ففزت بينهما صور من ماضيه تقضه وتثير حسرته على نفسه ، فيثور ضميره يؤنبه على هذه الايام التي يعثرها جريا وراء خيال جامع لا حد له ولا قرار

صور فتيات التقى بهن ، فكان يؤلف لكل منهن قصة في ذهنه يعيش فيها ، وينتظر منها أن تعيش معه في نفس القصة .. ثم تمر السطور والفصول فاذا به يكتشف ان هذه الفتاة ليست هي البطلة التي اقامها لقضته وأن هذه الحوادث ليست هي الحوادث التي كتبها بخياله .. فيصدم ، وأحيانا تشتد به الصدمة حتى تفقده وعيه ، وتمزق كبده ، وتعكر أيامه ..

انه لا يبحث عن الحب ، ولن يحب واحدة من هؤلاء الفتيات ، فقد أحب مرة واحدة .. حبا ولد معه ولا يزال يعيش فيه .. حبا يأبى أن ينزله الى مستوى المقامرة العابرة كأحدى هذه المقامرات التي مرت بحياته ، بل ينزله الى مستوى قلمه ليكتب عنه كما اعتاد أن يكتب عن عواطفه وخواطره ..

انه لا يبحث عن الحب .. ولكنه مصاب بخياله .. الخيال الرقيق الحساس الذي يصور له الفتيات ملائكة فيندفع معهن برئسا ساذجا الى أن يكتشف انهن شياطين ، فيثور .. يثور على

وكان المساء قد ولى ، وانتشرت خيوط الفجر تلف الجزيرة في لون هادئ خافت كأطياف الأحلام .. واقتربت منه واستندت على صدره العاري ، ورفعت اليه وجهها ..

وحاول أن يقبلها في وجنتها أو في جبهتها ، ولكن شفثيه انزلقتا الى شفثيها !!

وحاولت أن تفر بشفثيها من شفثيه ، ولكنها عادت بهما اليه ، عادت بهما وملؤهما الحياة والشباب والنشوة .. وعاشا في قبلة هادئة سرت في دمائه حتى حركت اخمص قدميه ..

ورفع شفثيه عن شفثيها ريشما يلتقط أنفاسه المبهورة .. وعندما حاول أن يعود بشفثيه اليها ، اصطدم بوجهها يقابل عينيه ، وقد نفخت صدغيها ، وكورت شفثيها ، وقطبت حاجبيها ، وشدت بأنفاسها على أنفها .. وكان وجهها كريحها منفرا كوجه القرد ..

وابتعد عنها نافرا .. وهو يصيح :

– ما هذا .. لماذا تشكلين وجهك بهذا الشكل القبيح !؟

وفكت أسارير وجهها فعادت كما كانت ، وقالت ضاحكة :

– انها طريقة أنفر بها الرجال عندما يريد ان أقاوم قبلاتهم ..

لا تتعب نفسك ، فلن امنحك شيئا .. تصبح على خير !!

\*\*\*

وخرجت من غرفته تتعثر في ثوبها الطويل ، وتركته يضرب الحائط بقبضة يده ، وهو يسائل نفسه مفتاظا : « متى تنتهي هذه القصة !؟ »

. . . . .  
 . . . . .  
 . . . . .  
 . . . . .  
 . . . . .

نفسه وعلى خياله الساذج .. ويثور معه ضميره على شيابه الذي  
يمتحنه كل هذا الامتحان ويستبيحه لكل فتاة تمر أمام عينيه ..  
انه مريض بهذا الخيال .. ولكنه يعيش بهذا المرض ، فلولا  
خياله لما تعلق بكل هذه المثل العليا التي عرف عنها تمسكه بها ،  
ولولا خياله لما ذرف هذه السطور التي يصفها بدمه ويقطرها من  
دهوعه ، وينتزعها من نبضات روحه ..  
انه مريض .. فأشفقوا عليه ، ولا تحسدوه على مرضه !

\*\*\*

وقد كان في احدى نوبات هذا المرض ، عندما قابل الراقصة  
تشارلي ، فأقام لها من خياله قصة خصص لها فيها دور البطلة  
.. ولكن البطلة خرجت على دورها ، وتقمصت شخصية أخرى  
غير هذه التي صورها له خياله ، وحطمت سطور القصة سطرا  
سطرا ، وفككت فصولها فصلا بعد فصل

كان قد صورها رقيقة بريئة تبعث الرقة والبراءة في أيامه ،  
فاذا بها قوية عنيدة تجعل من أيامه معركة بينه وبين نفسه  
كان قد صورها ، فتاة تؤمن بالحب وتضعف امامه فتجبه  
وتستجيب لندائه وتعيش معه في لحن هادىء ينسيه همومه ،  
فاذا بها تكفر بالحب ، وتكفر بندائه ، وتسمعه لحنا صاخبا  
يتعب ضجيجيه القلب ويهد الكيان .. ثم اذا بها تتساقط على  
جسده وتثر فيه أحقر غرائزه لتضمن خضوعه لها ..

وكان قد صورها فنانة تباع الدنيا كلها من أجل فنها ، وتجوع  
وتتشرذ من أجل الرجل الذي يفضى عواطفها حتى تلتهب بالنف  
وتمتد ناره الى قدميها فترقص كالسنة اللهب في المعبد المقدس ،  
ولكنها كانت تريد أن تشتري الدنيا بفنها ، وكان الفن في نظرها  
عملية حسابية بسيطة لها قواعد وجداول كجداول الضرب ،  
وكان الرجال في نظرها محافظ نقود تشتري بها هذا الثوب ، او

تأكل بها في هذا المطعم ، او تفتح زجاجة شمبانيا ..  
صحيح انها تعذبت في حياتها وقاست المر في طفولتها وشبابها ..  
وصحيح انها تعيش حياة قلقة ليس لها سند ولا ضامن وقد  
يحطمها ان تنقاد لعواطفها او أن تؤمن بالحب ، وقد يكون من  
حقها بعد ذلك ان تقسو على الرجال ، وأن تستغلهم وأن تحذرهم ،  
وتحذر نفسها منهم .. قد يكون كل هذا صحيحا ولكن ما ذنبه  
هو ؟ ..

ولماذا يقضى معها أيامه القليلة التي اختصرها من سنوات عمله  
ليربح رأسه المنهوك ، وانفاسه اللاهثة ؟!

\*\*\*

انه يكرهها .. ويكره أيامها .. ويكره شخصيتها المعقدة  
القاسية .. بل خيل اليه أنه يكره ابتسامتها التي تعلقها على  
جانب من شفيتها ، والتي طالما أعجب بها  
ونام ليلته ، وهو يكرهها ..

ولا يدري كم قضى في نومه الى ان احس بانفاس معطرة تطوف  
حول ، وخصلات من الشعر الناعم تدغدغ وجهه ، ففتح عينيه  
واذا به يلتقي بعينيها وهما تبتسمان له ابتسامة الصباح  
كانت تجلس على حافة السرير وقد مالت بوجهها الصغير  
النحيل فوقه ، وامسكت بخصلة من شعرها الذهبي تطوحها  
تحت أنفه ، بينما تهمس في أذنيه حتى توقظه من نومه ..

واستيقظ كما لم يستيقظ في حياته من قبل .. سعيدا هادئا  
كانه طفل يرقد في سرير من الورد تارجه يد ناعمة بين السماء  
والارض ، وتمنى ان يقضى بقية عمره هكذا .. راقدا على ظهره  
بين وسائد الريش ، وعيناه معلقتان بعينيها وانفاسها تكسو  
وجهه ، وخصلات شعرها تدغدغ أنفه  
ونسى انه قرر ان يكرهها .. وخيل اليه ان القصة التي كتبها

يبدأت خيوطها تتصل من جديد ، وأنها عادت كما صورها ..  
رقيقة ضعيفة تؤمن بالحب والفن

\*\*\*

ومد ذراعيه يجذبها نحوه ، حتى أسندت رأسها على صدره ..  
وكانت صامتة ، وقد انفرجت شفتاها عن آهة مكتومة وأخذ  
طردرها البكر الناضج يهتز فوق دقات قلبها ويلامس صدره  
العابري في قوة ويضغط عليه في نشوة وكان الصدرين يحاولان أن  
يتلاشى أحدهما في الآخر .. وتسلل بأصابعه المنتشية بخياله يمر  
بها بين خصلات شعرها ، ويمسح بها وجهها الذي الهبته دماء  
الشباب .. وكان يخطو سريعا نحو السحاب ، وينتقل في لهفة  
الى حلمه الجميل عندما قفزت من فوق صدره بفتة ، وصاحت  
في صوت مزعج :  
- قم أيها الكسول .. لقد كاد اليوم أن يضيع مني .. دعنا  
نذهب الى الشاطئ !

وأحس بخياله يذبح وبأحلامه تتساقط محطمة تحت قدميها ،  
وقال في صوت يائس :  
- دعينا نظل هنا .. اني أريد أن التقى بك .. أريد أن التقى  
بروحك وبقلبك .. دعيني أحكى لك عن نفسي وعن أيامي ..  
دعيني أقص عليك همومي ومتاعبي .. ثم أسمعني قصصك  
ونبضات خوارطك .. اني الى الآن رايتك ولم التق بك !!  
وصاحت في قسوة :

- لا تكن فيلسوفا .. اننا لم نأت الى كبرى لنقضى اليوم بين  
أربع جدران ، ثم اني أريد أن ألقى بنفسى تحت أشعة الشمس  
لاكتسب اللون الاسمر .. اني جميلة عندما أصبح سمراء .. قم  
أيها الكسول ..  
وجذبته من فوق الفراش ..

وكان يستطيع أن يدعها تذهب بمفردها ما دامت لا تريد أن  
تبقى معه .. وكان يستطيع أن يطردها أو أن يصفعها وهى تخب  
آماله .. ولكنه لم يفعل ، بل قام وارتدى ثيابه ، وقبل أن يغادر  
الغرفة قالت :

- نسيت أن أقول لك .. لقد سافرت العائلة هذا الصباح  
الى روما .. هانز ، وجان ، والعمة لوتى .. وقررت أنا أن أبقى  
معك هنا .. اليس هذا ما يسرك ؟ انك لن تضطر الى أن تدفع  
لهم جميعا بعد الآن .. كما انى أصبحت لك وحدك ، ولن يزاحمك  
أحد في !! ..

\*\*\*

وأخرجت من حقيبتها عشرة آلاف ليرة - اى حوالى سبعة  
جنيهات - واستطردت قائلة :

- خذ .. هذا كل ما معى .. وعليك أنت أن تدفع الباقي !  
وأزاح يدها بما فيها من أوراق مالية ، وقال في ترفع :  
- احتفظي بها ، وسأدفع ما أريد ، وعليك أنت أن تدرى  
أمرك ..

وأعدت الاوراق المالية الى حقيبتها دون أن تعلق بشيء ، ثم  
وضعت ذراعها في ذراعه واتجهت نحو باب الخروج ، وعندما مرا  
ببهو الفندق التقيا بالفتاة الامريكية : جينى .. ويدها كتاب  
ووقفا اليها ليلقيا اليها تحية الصباح ، وازدادت تشارلى  
التصاقا به بطريقة مفتعلة وحة وقالت في دلال مصطنع :

- الا تدرين ؟ لقد انتقلت الى هذا الفندق .. هكذا أراد هذا  
الطفل الكبير الذى يريد كل شيء ليحطمه !  
ونظرت اليه بابتسامة مرسومة وقالت :

- اليس كذلك ؟ !! ..

ولم يجب بشيء ، ولم تجب جينى ، وانما نظرت اليه نظرة

وأحيانا يشفق عليها ، وأحيانا يحقد عليها ويكرها الى حد أن  
يود لو خنقها واستراح وأراح العالم منها ..  
وأمضى في صحبتها يوما قاسيا ، كانت دقائقه وثوابه تنغرز في  
أعصابه كوخز الأبر ..

\*\*\*

وكانت أبامه معها جميعها قاسية .. فهي أنانية الى أبعد حدود  
الأنانية - أو هكذا كانت تبدو - لا تفعل الا ما تريد . ولا تسأل  
الا عما تشتهي ، ولا تتذكره الا ليدفع ثمن شيء تشربه أو تأكله ..  
وكان كل ما تحرص عليه هو الا تتركه هادئا . فهي تفيظه أحيانا  
الى حد أن يسبها ويشتمها ، وتضحك أحيانا لتعود فتفيظه  
ثانية ، ثم كانت تتبع عينيه من طرف خفى حتى اذا لمحتة ينظر  
الى فتاة أخرى ولو نظرة عابرة وقفت أمام عينيه ، فاذا ما حاول  
أن يستغل غيرتها ليثير عاطفتها عادت باردة كالثلج !!  
كان هذا هو حالهما كل يوم وجزءا كبيرا من كل ليل .. فاذا  
ما عادا الى الفندق تغير الحال ..

كانا يعودان عادة في الساعة الثانية صباحا ، وكانا يفترقان  
كل الى حجرته ريثما يبدل كل منهما ملابسه ، ثم كانت تأتي اليه  
في حجرته مرتدية « بيجاما » حريرية بيضاء على اللحم ، يكاد  
ينزلق منها نهذاها .. ثم تخرج الى الشرفة لتستلقى على مقعد  
طويل من مقاعد الشاطيء وتمض عينها في دعة وهدوء وكانها  
تستريح من عمل شاق ، وقد كانت تعمل كل يوم عملا شاقا  
فعلا ، عمل راقصة أو فتاة من فتيات الليل تحرص على أن تبقى  
رجلها داخل شبكها حتى لا يفلت منها .. وكان هو هذا الرجل  
داخل الشباك ! ..

وكانت في هذه اللحظة التي تستلقى بجانبه في الشرفة ينتهي  
عملها الشاق ، لأنها تكون قد اطمانت الى أنها كسبته يوما آخر ،

رئاء ممزوجة بالسخرية ، ثم أخذت تنقل عينها بين الكتاب  
وبينهما إشارة الى انها تريد انهاء الحديث ..

وأحس انه يكاد يدوب خجلا من رجولته التي تستهين بها هذه  
الراقصة الى هذا الحد ، ومن جينى التي لم يستطع ان يكسب  
احترامها ..

\*\*\*

ونظر اليها - الى جينى - بعينين معلقتين زائفتين وكأنه يعتذر  
لها ويستقيث بها أن تشله من ورطته ، ولكنها لم تأبه لنظرته ،  
وعادت تنقل عينها بين الكتاب وبينهما دون أن تنطق بحرف ،  
فقال وكلماته تتعثر بين شفثيه :

- اننا ذاهبان الى الشاطيء .. الا تأتين معنا ؟!  
ونظرت اليه نظرة عتاب وكانها تذكره بما حدث في الأمس  
وقالت في لهجة حازمة :

- شكرا ان لدى كتابا ، وعلى أن اكتب بعض الرسائل !

وغادرا الفندق واتجها الى الشاطيء ، وهو يسأل نفسه :  
لماذا لم يختر لنفسه الفتاة الامريكية ؟ .. لقد كانت كفيفة بان  
تريعه ، وان تحمل عنه همومه ، وان تشفق على وحدته ، وأن  
ترفه عن شبابه المتعب .. ولكنه هكذا دائما يفضل طريق الشوك  
ويضع الصخور بيديه تحت قدميه ، ويبحث عن المتاعب ويعشق  
الشخصيات المعقدة ، وقد كانت جينى فتاة بسيطة ، صريحة في  
عواطفها كالكتاب المفتوح ، فلم يكن فيها ما يجرى وراءه ، ولا  
ما يثير فضوله ، وكان يكفي ان يقرأ السطر الاول من قصتها  
حتى يعرف نهايتها .. أما هذه الفتاة التي بجانبه ، فهو الى  
الآن لا يعرفها ، ولا يجد لشخصيتها مفتاحا يصل به الى حقيقتها ..

انها أحيانا راقصة تتاجر بابتساماتها ونظرات عينها ، وأحيانا  
فتاة طيبة ساذجة ، وأحيانا تثير حبه ، وأحيانا تثير شهواته ،

وانه لا يزال محتفظا بها بجانبه ، فتلقى عن كنفها شخصية الراقصة وتبدو امرأة طيبة رائعة ، تتحدث حديثا عاقلا ممتعا ، وتستمع اليه والى همومه استماعا مشجعا مهذبا . وكان حديثها في هذه اللحظات دائما حديثا عذبا مثيرا ينسى فيه التعب الذى لحقه منها خلال يومه ويتمنى أن يدوم العمر كله ، مكتفيا منها به ، ولا شيء أكثر من هذا الحديث العذب المثير ..

ولكنها كانت قبل أن تنصرف عنه تحرص دائما على أن تثير أعصابه وأن تمنحه شفيتها حتى ترتفع الدماء الى رأسه ، ثم تنفلت منه بجسدها وتهرب الى حجرتها وتتركه يخطئ الحائط بقبضة يده ويسكب الماء البارد على وجهه حتى يعود اليه هدوؤه فينام ..

\*\*\*

وكانت تفعل هذا متعمدة ، فقد كانت تريد أن تبقى باب الأمل مفتوحا دائما أمام عينيه حتى تحتفظ به لليوم التالى .. الأمل في أن ينالها وفي أن تمنحه جسدها يوما ما ..

وفي إحدى هذه الليالى أخذ يقنعها بأنه لا يريد منها إلا أن يكونا صديقين .. مجرد صداقة بريئة من الحب وبريئة من نداء الجنس ، واقترح عليها أن يسجلا هذه الصداقة في عقد يوقعه كل منهما ، وقام الى منضدته فعلا وأخذ يكتب عقدا بالشروط التالية :

١ - يقرر الطرفان الموقعان على هذا العقد ان العلاقة بينهما لا تتعدى مجرد الصداقة البريئة !

٢ - القبيلات المتبادلة بين الطرفين لا تكون الا فى المناسبات الضرورية ، ولا تكون الا فوق الرأس ، أو على الأكثر فوق الجبين ! ..

٣ - ممنوع منعا قطعيا أن يتبادل الطرفان قبيلات فوق الشفاه ! ..

٤ - لا تستمر فترة أى قبلة أكثر من ثلاثين ثانية فى أى مناسبة من المناسبات !

٥ - اذا اخل أحد الطرفين بشروط هذا العقد يصبح عبدا للطرف الاخر طبقا لقواعد القانون الرومانى القديم ويصبح من حق الطرف الاخر ان يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله كيفما يشاء !! ..

٦ - مدة العقد ثلاث سنوات !

ووقع كل منهما بامضائه وهما يضحكان . ولكن ما كادت تشارلى تنتهى من توقيعها حتى اقتربت منه فى حياء مصطنع ، والصفى صدرها المنزلق من بين طيات البجامة البيضاء ، بصدرة العارى .. ومدت ذراعيها واحاطت بهما عنقه وأخذت تعبت بأصابعها فى تلافيف أذنيه .. ثم رفعت شفيتها المكتنزتين الناضجتين وهمسبت بهما بين شفيتها :

- انى أحس انه اتقضى من عمري ثلاث سنوات !!

ورفع ذراعيه ليحيط بهما خصرها وليمزق ثوبها عن بشرتها الشفافة المصطبغة بأوراق الورد ، ولكنه عاد بذراعيه الى جنبه ، وقال وأنفاسه الساخنة تكاد تذيب كلماته :

- تذكرى العقد !!

- اى عقد ؟ ! ..

- انك ستصيرين لى عبدة .. وسأصنع بك ما أشاء !

- انى عبدة .. اصنع ما تشاء !!

وارتفعت ذراعاه من جديد ، وضمها اليه فى قوة وقسوة حتى أصبحا كتلة واحدة من اللحم الساخن ، وطاف بأنفاسه حول وجهها وهو مغمض العينين حتى عثر بشفتيها فأنقض عليهما يسكب بينهما اياما من شبابه قضاها فى خيال محروم .. وقضى فوق شفيتها وقتا طالا او قصر ، ثم أحس بها تنفلت - كعادتها - من بين ذراعيه ، وتجرى نحو الباب ، وسمعها فى ضجة أعصابه تقول ضاحكة :

- لا تنس ان تمزق العقد ! ..

ولحق بها في لهفة مجنونة ، وامسك بذراعها ، ثم رفع كفه  
الأخرى وهوى بها على صدغها في عنف فظيع حتى خيل إليه انه  
أطاح برأسها من فوق عنقها

وساد بينهما صمت حاد وكلاهما تتلاحق ضربات قلبه

لم تيك ..

ولم تصرخ ..

ولم تحاول أن ترد الصفحة ..

وقالت في هدوء ، وهي تقاوم انفجارها هائلا :

لا تضربني مرة ثانية على وجهي .. فلو أبحت صدغي لكل  
الرجال أمثالك لتشوهدتا .. اضربني هنا ان أردت .. ان كان  
يجب ان تضربني حتى تغطي عجزك عن مقاومة أعصابك وخجلك  
من نفسك وأنت تنهار هكذا كلما تحسست جسدي !

وأدارت له ظهرها وهي تشير الى المكان الذي يجب ان يضربها  
فيه ، كلما أراد ضربها ..

ولم يضربها ..

ولم يرد على كلمة من كلماتها ..

وأدار لها ظهره وخرج الى الشرفة مطأطء الرأس ، وسمعها  
تفلق الباب وراءها ، فرفع رأسه وملا رثنيه بهواء الفجر ، وأدار  
عينيه في جمال الله المنبسط حوله ، وأحس برغبة ملحة في البكاء  
ولكنه لم يبك ، وإنما سد أذنيه بأصبعيه عندما سمع الإصدااء  
تتردد بين قمم الجزيرة وتصرح في وجهه : انت عاجز .. انت  
ضعيف .. أنت منهار ..

نعم انه عاجز وضعيف ومنهار .. ولكن ما ذنبه هو ؟ انه  
ذنبها هي !! ..

متى يتخلص منها ؟! ..

ورفع وجهه الى السماء وكأنه يقسم امام الله ان يتخلص  
منها ..



.. كيف يتخلص منها ؟!

لم يستطع ان يضع خطة مرسومة ، فقد نام ليلته - او لم  
ينم - وهو مضطرب الفكر ، مجروح القلب ، يكاد يخنق أنفاسه  
القيظ منها ..

ووجد نفسه في اليوم التالي باردا ، ساكنا ، يرود من زابيلته  
الحمى وبدأ يتصبب جسده عرقا ينم عن ضعفه وأنهيار كيانه ..

وجاءت الى غرفته - كماداتها كل صباح - مرتدية ثياب  
الشاطيء ، وانحنى على وجنتيه تقبله قبلة خاطفة وهي تحييه  
تحية الصباح ، فلم يرد قبلتها ، وعمغم ببعض كلمات غير مفهومة  
يرد بها تحيتها ..

وبدأت تتحدث عن برنامج اليوم .. مرحة .. ضاحكة ، وكأنها  
عروس تستقبل اليوم الاول من شهر العسل ..

ولم يعلق على حديثها بشيء ، ولم يجادلها في البرنامج الذي  
اعدته لنزهات اليوم ، اذ ظل صامتا ، لا ينظر اليها ، ولا يستمع ..  
وقام وارتندى ثيابه وتقدمها نحو الباب ..

ولاحظت صمته ووجومه ، فابتسمت ابتسامة ضعيفة حيل  
اليه انها ابتسامة هزؤ وسخرية وخيل اليه انها كانت واثقة من  
نفسها الى حد كبير ، واثقة انها مهما ادعى الوجوم والغضب ..  
فستحتفظ به دائما وستفعل به ما تشاء

وسارت بجانبه ، وهى تعلق على ما تراه فى واجهات الحوانيت تعلقات ساخرة ، وترمى كل من يمر بها بنكتة لاذعة .. وكان من عادته ان يضحك على هذه التعليقات والنكت ، ولكنه فى هذا اليوم لم يضحك ، وكانت كلما وجهت اليه كلاما رد عليه بهزة من راسه او بمفهمة ليس لها معنى ..

\*\*\*

وجلسا يتناولان القهوة فى الميدان الصغير الذى يتوسط الجزيرة .. وكانت لا تزال تتحدث وتروى قصصا ونوادير مما يحدث مثله فى حياة الراقصات ، فلم يلق لها بالا وتشاغل عنها بالنظر الى فتيات الجزيرة الجميلات فى ثيابهن الجريئة المثيرة .. وفجأة قام بدون ان يستأذنها واتجه الى موقف سيارات الاجرة ، فلحقت به فى لهفة ، بعد ان جمعت حوائجها من على المائدة فى اربتك ..

وقال لسائق السيارة ، وقد ركبت بجانبه دون ان يدعوها :

الى « مارينا بيكولو »

وقالت :

— ولكنى كنت اريد ان نقضى اليوم فى « آنا كابرى » ..

ولم يرد عليها ، واتجهت السيارة فى طريق مارينا بيكولو .. وكفت عن الحديث طول الطريق ، وانما ظلت محتفظة بهذه الابتسامة التى كان يخيل اليه انها ابتسامة هزؤ وسخرية .. ووصلا الى الشاطيء ، وابدلا ثيابهما واصبحا فى ثياب الاستحمام ، فلم تحاول ان تعرض عليه جسدها المثير وهى فى « المايوه البكىنى » كما كانت تفعل دائما ، ولم تستلق بجانبه ولم تجادته اطلاقا ، انما تركته يختار مكانا له ، ثم انصرفت عنه الى مكان آخر ، وانضمت الى فريق من الناس لا يعرفهم ، ثم لمحها بعد دقائق تحادث رجلا امريكيا يدعونه « جو » وكانت تعلم انه

يكره هذا الرجل ، ويكره اعتداده بنفسه ، وتهافت الفتيات عليه .. وكان حديثها معه كفيلا بان يثيره وان يقضبه ، وان يجعله يتقدم لينتزعا منه .. ولكنه لم يثر ، ولم يقضب ، وان يتقدم وانما ظل باردا ساكنا واكفى بان جذب قبعته فوق عينيه حتى لا يرى ..

\*\*\*

ولمحا مرة ثانية وقد نزلت مع هذا الامريكى الى حوض السباحة ثم لمحها والرجل يرفعها فوق كتفيه لتقفز من فوقها الى الماء ، وكان يعتمد ان يلمحها دون ان تلمحه ، ولكن نظراتهما التقت مرة او اثنتين وكانت هى الاخرى تحاول ان تراقبه دون ان يشعر بمراقبتها

وجاءت مع صديقها الامريكى الى حافة الحوض القريبة منه ، واخذوا يتضحكان ويلعبان فى الماء ، فلم يتحرك ولم يبد انه يشعر بهما ، وكانت اعصابه قد بدأت تخونه وتتخلى عنه ، ولكنه ضبط عليها ، حتى ضبطها ووضعها تحت ارادته ..

ثم شعر بها تقذفه برذاذ الماء وسمع صوتها يصيح فيه :

— هاللو .. الا تزال من الاحياء !!

ولم يرد عليها ، واعتدل فى رقدته ، فنام على بطنه حتى لا يراها ..

وانصرفا بعيدا عنه ..

وقام هو بهدوء ، ودخل حيث بدل ملابسه واتجه نحو باب الخروج ..

وعند الباب وجدها فى انتظاره مرتدية ثيابها كاملة ، وكان يبدو انها ارتدتا فى عجلة ، فلم تمهل نفسها حتى تحفف شعرها ، فكانت خصلات منه ملتصقة بصفحة وجهها ، كأوراق الخريف الصفراء وقد التصقت بفرع نحيل فى يوم مطير !!

وبقى متمسكا بصمته وسارت بجانبه عدة خطوات ، ثم قالت في هدوء :

— هل تعتقد أنك تستطيع أن تملكني بهذا الأسلوب .. انه غباء منك أن تعتقد ذلك ؟!

ولم يرد ، فعادت تقول :

— لا تكن أحمق ، ولا تكلف أعصابك أكثر مما تتحمل .. ثم حرام ان تضيع علينا يوما كاملا في جنازة وهمية !!

\*\*\*

وكاد يفقد أعصابه ، ويصرخ ، ولكنه استطاع — بجهود عنيفة — أن يبقى هادئا ، وقال في هدوء :

— هذا حالي اليوم ، ان كان يعجبك ؟!

وقالت وكأنها تشفق عليه :

— جرب أن تصرخ .. انظر الى واشتدني .. قل اني فتاة انانية قذرة .. قل اني راقصة لا قلب لها ولا شعور ، فربما أراحك هذا الصراخ ، فتعود كما كنت ..

ولم يصرخ ، ولم يرد عليها ، ووظف على شفثيه وكأنه كان يخاف أن ينقلت من بينهما لسانه

وهزت كتفها كمن لا حيلة له ، وأكملت طريقها معه صامتا منكسة الرأس ، وشعر في هذه اللحظة انه بدأ ينتصر ، بل شعر بلذة إجرامية في ان يعذبها بهذا الصمت البارد ، وكأنه يشويها على نار هادئة ويتلذذ برائحة شوائها ..

ولو انها تركته وانصرفت عنه في هذه اللحظة ، فربما كان قد تبعها وعاد بها معتذرا مستغفرا ، ولكنها لم تتركه ولم تنصرف عنه بل تبعته كالكلب الوفي ، فبدأ يستعيد ثقته بنفسه ، وبدأت أعصابه تهدأ منتشية بالأمل في نصر قريب ، وبدأت الابتسامة التي زابت شفثيتها وهي تسير بجانبه منكسة الرأس تنتقل الى

شفثيه وهو يسير براس مرفوع وصدر منفوخ ..

وعندما وصلا الى الفندق ليبدلا ثيابهما مرة أخرى استعدادا لسهرة المساء ، قالت له في صوت مستسلم ، قبل ان يفترقا كل الى حجرته :

— انتظر في غرفتك !!

\*\*\*

واختفت في حجرتها قبل ان تسمع جوابه ، وكانت لا تزال واثقة من انه سينتظر كما طلبت منه ان ينتظر ..

ولم ينتظرها في غرفته ، ولكنه أيضا لم يغادر الفندق ، بل بقي منتظرا في البهو الكبير بحيث يرى — ويراه — كل من يهم بالخروج من الباب الخارجي

ورآها بعد ساعة تنزل الدرج في سرعة ملهوفة ، وكأنها تريد أن تلحق بشيء ضاع منها ، وما ان رآته حتى هدأت من خطواتها وأصلحت من مشيتها ، وكنمت ضربات صدرها الخافق ، وتقدمت اليه ، وقالت في صوت حاولت أن تجعله ساخرا :

— على كل حال ، فانك لا تزال منتظرا !!

ولم يرد ..

كانت الرغبة الآتمة في ان يعذبها ويشويها على نار صمته البارد ، تتملك منه وتستزيده ..

وخرجا سويا ، حيث التقيا بجمع من الاصدقاء .. فتيات وفتيان من مختلف الجنسيات ، ثم توجهوا جميعا الى فندق « سيزار أغسطس » حيث مدت لهم مائدة كبيرة ارتفعت فوقها أكثر من زجاجة ويسكي

وكانوا كلهم يعرفون ان هذه الفتاة له وانه يحبها وهي تحبه ، وكانوا يتعمدون ان يتركوها له ، وأن يجلسوهما احدهما بجانب الآخر ، ولكنه في هذه الليلة تعمد ان يجلس بجانب فتاة أخرى ،



ويدعها تجلس بجانب فتى آخر ، واخذ يسبغ اهتمامه كله على هذه الاخرى ، وهى بدورها كانت تدعى الاهتمام بالفتيان الآخرين ..

\*\*\*

ولاحظ انها تشرب كثيرا - اكثر من عاداتها - وانها كانت تتحدث كثيرا وتلقى كثيرا من السخافات التى يضحك لها الجميع ، ما عداه ، فقد كان يعتمد الا يضحك ، وكان يعتمد أن يجذب الفتاة التى بجانبه الى حديث طويل هادىء . لا شك انه كان حديثا سخيفا ، لا تتحملة الفتاة الا لرقتها ورغبتها فى مجاملته ..

وفجأة قدفته تشارلى بحبة زيتون ، فالتفت اليها ، وكانت الخمر واضحة على وجهها . كانت عينها تترنحان ، وشفتاها تترنحان ، وخصلة من شعرها تتأرجح امام وجهها كأنها سكير يحاول أن يمسك بعمود النور !!

وقالت بصوت مترنح :

- قم ، وارقص معى !!

وقامت من على مقعدها فعلا لتستعد للرقص ، ولكنه لم يقم من على مقعده وغمغم قائلا :

- لا أريد الرقص ؟!

واكفهر وجهها واحمر غضبا حتى خيل اليه أن النار قد اندلعت فيه ..

واحس باللذة الأثمة تسرى فى صدره .. لقد بدأ الشواء ينصح !! ..

وأزاحت مقعدها بقدمها وجذبت الشاب الذى بجانبها الى حلقة الرقص ، وأخذت تراقصه رقصا ماجنا وتضحك خلال الرقص ضحكات مخمورة وتقبله قبلات كأنها صفعات تعنيه بها ..

ثم عادت الى المائدة ، وقبل أن تجلس رفعت كأسها الى شفتيها وعبت ما فيها ثم قدفت بها الى الأرض محطمة ..

وساد الوجوم لحظة تبادل فيها كل من الجالسين نظرة الى الآخر ، ثم عادوا جميعا يضحكون ويصرخون دون أن يعلق احدهم بكلمة على الكأس المحطمة ، سوى صديق ايطالى كان يجلس بجانبه مال على اذنه هامسا وهو يفمز بعينه مشيرا الى تشارلى :

- ان لم يكن هذا هو الحب .. فماذا يكون ؟!

وابتسم ابتسامة مسكينة واجابه فى استخفاف :

- انك واهم ليس للحب حساب بيننا !!

\*\*\*

وكانت تشارلى قد أمسكت بكأس اخرى ، وبدات تفنى وهى واقفة على قدميها ، أغنية فرنسية شعبية يردد الجميع مقاطعها .. وكانت تفنى فى صوت مرتفع مذبوح كأنه الصراخ ، ثم اعتلت مقعدها وقفت فوقه وأخذت تسكب كأسها فوق رأس الفتى الذى يجاورها وهى تضحك ضحكات هستيرية مجنونة ..

ولم يعد يحتمل ..

وخشى أن يقلبه قلبه الرقيق ، وأن تثور شفقتة ، فيحملها بين ذراعيه ويعود بها الى الفندق ليدارى هوسها ، ويضع حدا لهذه التصرفات المخمورة ..

ولكن رغبته الأثمة فى أن يعذبها باهماله لها ، ويشم رائحة شوائها وهو يصلحها بصمته البارد .. هذه الرغبة كانت لا تزال تتملك نفسه ، وتنفخ فى صدره .. فقام بهدوء وغادر المسائفة حيث وقف بجانب « البار » مديرا لها ظهره ..

وظل يسمع ضحكات المجنونة وصراخ القوم من حولها برهة . ثم سكت الضحك والصراخ ، واذا هو يحس بها واقفة بجانبه

تترنج وهي تستند على مائدة « البار » بذراعها حتى لا تقع على الأرض ، ونظرت إليه نظرة لا تستقر ، وقالت في صوت متعب :

- انى أريد أن أعود !!

وقال وهو يرفع كأسه الى شفثيه ، ويرخى عنها عينيه :

- انى سأبقى هنا !!

- كفانا .. انى متعبة !!

- لك أن تعودى مع بقية الاصدقاء !

- لا تثرنى .. انى أستطيع ان اكون امراة خطرة !

\*\*\*

ولم يرد عليها ، واكتفى بأن اذار لها ظهره منشغلا عنها بكاسه .. وفى حركة خاطفة جذبت من فوق مائدة البار زجاجة كبيرة من زجاجات « السيفون » ووجهتها الى وجهه وضفطت على فوهتها المعدنية فانبثق منها الماء فى عينيه وبلل رأسه وانسكب على ثيابه ، بينما كانت تضحك ضحكانها الهستيرية المجنونة .. وظل صامتا لا يتحرك ، ولا يحاول أن يدفع الماء عن نفسه ، أو يزيحها من جانبه .. ولم يكن صمته وبروده عن عمد ، ولكنه كان من الصدمة المباشرة .. وربما خشى ساعتها أن يدفعها عنه فتحطم الزجاجاة الكبيرة على رأسه فتقتله وهي مخمورة ..

وجاء اصداقؤه فأبعدها عنه ونزعوا الزجاجاة من يدها ، وصحبوها معهم حيث عادوا بها الى الفندق ، وهي تصيح فيهم :  
- دعونى أقتل هذا الفأر الكبير ..

وتركوه وحيدا بجانب « البار » يسائل نفسه : لم كل هذا ؟!  
انه كان يستطيع أن يصرفها عنه باحسان .. كان يستطيع أن يقول لها فى بساطة وفى صراحة ، انه لم يعد يريدتها ، وانها اتعبته ، وأتعبت أيامه ، وانه لن يتكفل بها بعد اليوم ولن يدفع

لها حساب الفندق ، وان عليها أن تغادر الجزيرة ، أو تبحث لها عن صديق آخر ..

وكانت ستضطر أن تخضع وأن تتركه وتربح اعصابه ، فهو ليس مسئولا عنها ، وليس هناك ما يربطه بها سوى هذا الومم الذى قام بينهما وأتقعهما بأن كلا منهما فى حاجة الى الآخر ليقضى معه أيام أجازته ..

\*\*\*

ولكنه اتبع الطريق الآخر وفضل أن يثيرها ، وان يعذبها بصمته واهماله يوما كاملا .. لماذا ؟ الا يزال يريد الاحتفاظ بها بجانبه ؟! أم انه يحاول الانتقام لهذه السويغات التى تسلطت فيها على جسده ، وأثارت غرائزه ثم تركته دون أن تطفىء النار المدنسة المتدلعة فى اعصابه ؟! أم هى غريزة حيازة الشيء ، تغلبت عليه ، فهو يريد أن يحوزها روحا وجسدا ليعود الى بلده بذكريات نصر تافه جديد ؟!

وسار على قدميه ، يدب فى الظلام ، ويعرض رأسه للهواء البارد ليهدىء من ثورة أفكاره ..

ووصل الى الفندق وقد أقتنع نفسه انه مجرم ، وأن شيطانا آتما عبث بروحه فدفعه الى القسوة على هذه الفتاة وهو لم يقس أبدا فى حياته على أى فتاة ..

وصعد السلم ، ثم تمهل قليلا .. فقد كان يريد أن يذهب الى حجرتها ليعتذر لها ، ولكنه وجد الاعتذار - فى مثل هذه الساعة - قد يثيرها مرة ثانية ، أو ربما كانت الخمر لا تزال متسلطة على رأسها فلا تفهم للاعتذار معنى ..

وسار الى غرفته فى خطى بطيئة ، ودخلها منكس الرأس وأضاء النور وبدأ يخلع ملابسه ثم اتجه الى الفراش عارى الصدر

كما اعتاد ان ينام دائما ، وازاح الناموسية السمكية - وكل سرير  
فى كابرى تنسدل عليه ناموسية - فاذا به يجدها امامه .. فى  
فراشه ! ..

\*\*\*

كانت فى بيجامتها الحريرية البيضاء التى ينزلق منها نهداها  
وشعرها الذهبى الطويل ينتشر على الوسادة حول رأسها الصغير  
كانه انعام ينظمها صاحبها ولم يعزفها بعد ..  
وكان يبدو ان الخمر قد تبخرت من جوفها ، وتركت على  
وجهها صفرة مريضة ..  
ولم تكن نائمة ، بل كانت مفتحة العينين فى اصرار عنيد كمن  
يعانى الما مكبوتا ..  
ولم تكن تبتسم ، بل كان على شفيتها غضبة تحاول ان تنطلق  
فلا تقوى على الانطلاق

وطالت وقفته وطال صمته ، الى ان قالت فى صمت هامس  
كأنه قطرات من الماء ذابت عن لوح من الثلج :

- لماذا تقف هكذا ؟ .. تقدم .. انى فى فراشك ؟ ..

ولم يرد ، فعادت تقول :

- ما الذى يفضيك الآن ؟ .. لقد قررت الاستسلام .. اليس  
هذا ما كنت تريده ؟ .. هاك جسدى ..

ونزعت سترة البيجاما عن صدرها بأصابع عصبية حتى كادت  
تمزقها ..

ونظر الى جسدها نظرات تائهة ، وساءل نفسه :

- هل هو حقا يريد هذا الجسد ؟ انه لم يحاول ابدا  
ان يقترب من جسدها .. وانما كانت هى تغويه به ، وكانت هى  
التي تثيره ، وتفتح له ابوابا لا تلبث ان تفلتها فى وجهه كما تفعل

باقى الراقصات ، ولولا هذا لاكتفى منها بصحبتها الشقية  
وحديثها التافه الذى اعتاد ان ينسى فيه همومه ..  
وتحركت شفتاه قائلا :

- لا تكونى سخيفة .. انك لا تعنين ما تقولين !

- انى اعنيه فقد قررت ان أمنحك اتفه ما املك ، ما دام  
اعز ما املك لم يكفك !!

وصاحت فيه بصوتها الضعيف مرة ثانية :

- تقدم .. انى لك .. تعال واجن ثمرة صبرك الطويل !!

- انك لا تريدن هذا !!

- يكفى انك تريد !

- لست حيوانا !

- لقد اقنعتنى اليوم انك حيوان !!

- لقد كدت اذهب الى غرفتك لاعتذر لك !

- لا تعتذر فانى راضية بك كما انت .. ولا فائدة من الاعتذار،

فقد قررت ان اشاركك الفراش .. لقد نجحت خطتك .. الا تشعر

نشوة النصر ؟ ..

\*\*\*

وجلس على حافة الفراش وقد وضع رأسه بين يديه ، لا يدرى  
ما يقول ولا ما يفعل

واذا بها ترفع رأسها المثلث المصدع عن الوسادة ، وتميل  
بصدرها العارى ، وتلتصق وجهها المتعب بوجهه المكفهر ، ثم تهمس  
فى اعياء :

- نسيت .. يجب ان اقبلك أولا !!

والصقت شفتين باردتين بشفتيه ، وحاولت ان تحركهما لتعصر

منه قبلة ، فقلبا اعياءها ..

وأزاح شفتيها في رفق ، وأحاطها بذراعيه ، وأخذ يربت على  
كفتيها في حنان وقلبه يكاد ينخلع شفقة عليها ، وهمس في صوت  
يكاد يكون نشيجا :

- لا تعذبي نفسك .. يكفيك ما انت فيه من اعياء !!

- انى لا أريد أن أفقدك ! ..

- سنفترق يوما .. هكذا كنت تقولين دائما .. فلنفترق  
أصدقاء .. مجرد أصدقاء !

- نعم .. سنفترق يوما !

- ليكن غدا ! ..

وأزاحت نفسها من على صدره وصاحت في هلع :

- غدا !؟ ..

ولم يرد ، وأحنى رأسه وكأنه يصير على القد ، وارتسمت على  
شفتيها ابتسامة باهتة ، وقالت في صوت واع :

- لقد كنت أنتظر دائما هذا القد .. ولكنى لم اكن أنتظر أن

يأتى سريعا .. أن من حقلك وحدك أن تحدد موعد الفراق ..

بل من حق كل رجل التقى به أن يحدد موعد فراقه لى ، وقد

كنت أتعمد دائما أن أفترق عنهم قبل أن يفترقوا عنى .. ولكنك  
سبقتنى !! ..

وسكنت برهة ، ثم استطردت :

- أنى أستطيع أن ابقى في الجزيرة .. هنا أكثر من رجل

مستعد أن يتكفل بى ، بل ان « جو » .. هذا الرجل الأمريكى ..

دعانى هذا الصباح للاقامة معه .. ولكنى لن اقبل .. سأسافر

الى روما لالحق بعائلتى .. فهذا اكرم لصدافتنا .. انها مجرد

صدائة .. أليس كذلك !؟ ..

وأسقطت رأسها فوق يديها وأخذت تشد بأصابعها في خصلات

شعرها المنسدل فوق وجهها ..

وخيل اليه انها تبكى .. ولكنها عندما رفعت اليه وجهها رأى

عينها جامدتين لا حياة فيهما ولا نور .. ولا دموع !!

انها لا تبكى أبدا .. وقد قالت له يوما انها لن تبكى لانها

تعلمت كيف تقسو على نفسها !

وتركت رأسها يسقط على الوسادة من جديد ، وقالت في

صوت لا رنين فيه ولا معنى :

- هل تسمح ان انام في فراشك ؟ .. انى متعبة لدرجة انى

لن اقوى على الذهاب الى غرفتى .. لا تنس ان توظنى عندما

يأتى الغد ! ..

واسدل فوقها الناموسية ، وأحس انه يسدل ستارا على

ماض بعيد ..

واطفاً النور ، كأنه يسكب الظلام على أيام حياته ..

وتركها تنام ، وذهب الى الشرفة حيث استلقى على مقعد

طويل .. ولم ينم

\*\*\*

واستيقظت في صباح باكر ، وخرجت اليه في الشرفة وهى

تضم اطراف ثوبها على صدرها العارى ، وكان يبدو من صفرة

وجهها وارتخاء عينيها انها لم تنم هى الأخرى ، وقالت في صوت

ضعيف من بين ابتسامة صامتة حزينة :

- هل اتى القد ؟ ..

ووقف قبالتها ينظر اليها طويلا ، وشعر انه في حاجة الى أن

يضمها الى صدره ، ويكسى فوق رأسها طويلا ، ولكنه تمالك وقال

في اصرار مهذب ، لم يخف مدى ما كان يلاقيه في مقاومة نفسه :

- نعم .. اننا الغد !!

وسارت في خطوات بطيئة الى حجرتها ، ولحق بها بعد ان ارتدى ثيابه فوجدها قد اعدت حقائبها ، ووقفت امام المرآة تخفى بالطلاء صفرة وجهها . وقال وقد اسند ظهره الى الحائط حتى لا يترنح تحت ضربات قلبه :

— هل اعتذر لى ؟

— لا .. من الأفضل لا ! ..

ولم يجد شيئاً بقوله ، ولكنه كان يجب ان يقول شيئاً :

— هل تكتفين لى ؟

وقالت دون ان تنظر اليه ، وهى تمر باصبع الاحمر فوق شفيتها :

— لم لا ؟ ..

\*\*\*

وأخرج ورقة وكتب عليها عنوانه فى مصر ، فمدت يدها والتقطتها بعدم اكترات ، ووضعها فى حقيبتها فى اهمال ..

— هل تريدن شيئاً ؟

— لا ..

— تقود ؟

— معى عشرة آلاف ليرة التى تركتها لى .. وهى تكفى ..  
ولا تلج .. فلن أقبل شيئاً

وسارا نحو الباخرة التى تفادر كبرى ، فى صمت حزين وكانهما يشيعان جنازة .. جنازة ماذا ؟

هل هى جنازة حب ؟

جنازة صداقة ؟

جنازة مضامرة ؟

انه لا يدري .. وهو الى الآن لا يدري

وقبل ان تصعد الى الباخرة وقفا قبالة بعضهما ، وكل منهما لا يدري ماذا يقول وماذا يفعل !؟ ..

وحاول ان يقبلها قبلة الوداع فصدته فى رفق ، ومدت له يدها وقالت وهى تفتصب من بين شفيتها ابتسامة :

— ان وداع الاصدقاء هكذا !!

وتركت يدها فى يده لحظة ، سحبها منه وكأنها تسحب الحياة من قلبيهما ..

وخطت نحو الباخرة ..

وقبل ان تكمل خطوتين ، استدارت له ، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت الورقة التى كتب عليها عنوانه ، وأخذت تمزقها فى هدوء ، وسمعها تقول :

— حتى هذا ، لا داعى له

\*\*\*

وخيل اليه انه لمح الدموع فى عينيها قبل ان تختفى عن ناظره وسار عائدا الى قلب الجزيرة قبل ان تفادر الباخرة الميناء .. وأحس بطنين حاد فى رأسه .. ماذا حدث فى هذه الايام ؟ ولماذا أصر على ان تفارقه ؟ وماذا كان يمكن ان يحدث لو ابقاها معه ؟ انه لا يدري شيئاً .. بل انه لا يدري اذا كان ما حدث يصلح ليكون قصة ام لا !



لسيدة  
صالون





عزيزى احسان ..  
هل اخاف منك ، أم اثق بك ؟!  
انك تعلم الكثير عن حياتى الخاصة والحامة ، وهذا ما يخيفنى  
منك ، خصوصا بعد أن بدأت تغرم بجمع الوثائق والمستندات  
وتنشرها فى جريدتك !  
ولكنى مع ذلك اثق بك ، فانت طيبه القلب رغم نزواتك بل  
أنت طفل ساذج رغم ما يبدو عليك من سمات الخطورة !  
وانى اكتب اليك لكلا السببين : لخوفى منك ، ولثقتى بك ،  
فانى أريد أن أصحح لك بعض ما تعرفه عن حياتى الخاصة  
والعامه ، وأريد أن اشكر لك صديقك « اسماعيل » الذى اتخذ  
منك ملجأ وموضعا لسره ، حتى أكاد أؤمن بأنه كان يبلغك كل  
همسة تسرى بينه وبينى ، ويعدد لك كل قبلة تبادلناها فى هذه  
الفترات المتباعدة التى كنت فيها أنسى نفسى لأذكرة ، وكان ينسى  
نفسه ليذكرنى !  
ولا بد انه قال لك كيف افترقنا أخيرا ، واكاد اجزم بانك  
أصدرت حكمك على بعد أن سمعت أقواله ، وقبل أن تسمع

## سيدة صالون

« هذه القصة واقعية .. وقد يعلم تفاصيلها كثيرون غيرى ،  
وهؤلاء أرجو منهم ألا يفضحوا الأسماء الحقيقية ، وألا يتحدثوا  
كثيرا عن وقائعها فى مجالسهم الخاصة .. وأرجوهم قبل كل شئ  
ألا يحاول واحد منهم أن يترجم هذه الصفحات الى الزوج أو  
الزوجة ، فان من رحمة الاقدار على ، انهما لا يقرآن العربية  
أما لماذا كتبت القصة ما دمت أخاف على أبطالها الى هذا  
الحد .. فان للقلم دائما عذرا ، عندما ينطلق وراء موضوع  
شيق !! »

اقوالى .. ولا بد انه كان حكما قاسيا دمغنى بالجحود ، وسب فوق راسى اللعنة التى يطلتها الناس على كل زوجة تخون زوجها ، ثم بعد ذلك تخون عشيقها ..

وكل ما ارجوه قبل ان ابدأ قصتى ، هو ان تسحب حكمك هذا وترفع من فوق راسى اللعنة التى صببتها على ، واعتبر نفسك قاضيا استثنافيا من حق العدالة عليه ان يلغى حكما اصدرته محكمة الدرجة الاولى ، عندما يرى وجهها لافانها ..



ولابدأ بنفسى أولا ..

انك تعلم اننا وفدنا الى مصر - زوجى وانا وولدانا - منذ اربع سنوات ، وقد جئنا الى هذا البلد الكريم ، ونحن لا نملك شيئا ، ثم استطعنا فى خلال عامين ان نمتلك مليونا من الجنيهات او يزيد ، مودعة فى مختلف بنوك العالم ..

وقد يكفيك هذا لتتهمنا - على الأقل - بالنصب والاحتيال . ولكن ثق ان كل قرش من هذه الجنيهات ، اشرف من ان يكون موضع شك ، ولكنكم - انتم المصريين - لا تؤمنون بان اى انسان يستطيع ان يكون صاحب ملايين دون ان ينصب او يحتال ولا تؤمنون بان بلادكم هى منجم ذهب بكو .. لا يلزم لاستغلاله سوى بعض الذكاء التجارى وبعض « التاكت » .. وزوجى يتمتع بنصيب كبير من الذكاء التجارى ، اما « التاكت » فقد كنت انا الكفيلة به دائما ..

ولاعد بك الى الوراثة ثلاثة عشر عاما حتى تعلم لماذا جئنا الى مصر .. الى هذا المنجم البكر السخى !

كنت فى السادسة عشرة من عمري ، من اسرة فرنسية متوسطة محافظة ، وكنا نقيم فى باريس .. واصبت ايامها بصدمة عنيفة

غيرت ما كنت اعد نفسى له ، فقد كنت احب شابا فرنسيا من اصدقاء الاسرة وكنا قد تواعدنا على الزواج ، بل ان زواجنا كان امرا مسلما به من كلا العائلتين . ولكنه خان العهد ، واختفى من باريس كلها عامين ليعود بعدها الى زيارتنا وفى يده زوجة من فتيات اللكسمبرج ..

وابت على كرامتى ان انهار ، فتجلدت ، واستقبلت حبيبى وزوجته وكأنه لم يكن حبيبى يوما ، ولم تكن هى المرأة التى سطت عليه .. ولكنى دفعت كثيرا فى سبيل هذه الساعة التى تجلدت فيها .. دفعت قلبى ، واصبحت امرأة بلا قلب .. امرأة تستطيع ان تصفها بانها « عملية » او « واقعية » او « استغلالية » ، فقد تعودت من يومها الا ابتسم الا لغرض ، ولا اجلس انسانا الا لاستفيد منه ، ولا ارفع كأسا الى شفتى الا لحيى رجلا احتاج اليه .. لقد اصبحت راسا يعمل ويفكر ويضع الخطط وسيطر على جسدى ، وعلى لفتات عينى ، وعلى كل ما املكه كأمراة ..



الى ان قابلت زوجى ، وكان كلانا من الذكاء بحيث لم يحسب حسابا للحب بيننا .. انما تزوجته لانى قدرت انه يستطيع ان يكون رجلا ناجحا ، وتزوجنى لانه قدر انى أستطيع ان اعينه فى طريق النجاح .. كان زواجا تجاريا اساسه تبادل المنافع

وكان زوجى فى هذه الايام يعمل فى الميدان التجارى سمسارا يقوم ببعض الصفقات الصغيرة ، وكان يطمع فى ان يجد اولاً الشركاء ، ثم يقتنعهم بالاشترك فى رأس المال

واخذت انا على عاتقى هذه المهمة .. وهى ليست بالمهمة الهينة ، اذا كان يجب على الا ابدل ، والا افقد احترامى فى



الايواسط المالية والتجارية التي بدأت ازج بنفسى فيها ، وفى انوقت نفسه كان على أن أصططاد الرجال لاجعل منهم شركاء لزوجى ..

والمرأة المتذلة الرخيصة قد تستطيع أن تأخذ لنفسها بعض اموال الرجل ، ولكنها لا تستطيع أن تجعل منه شريكا لزوجها ونجحت فيما سعيت له ، واستطعت أن احيط نفسى وزوجى برجال اقوياء من رجال المال ..

وأصبح لى صالون متواضع ، ولكنه ائيق مريح ، وكان الرجال يقدون اليه وكل منهم تجره ابتسامتى ولفئات عينى والأمل الواسع الذى اتركه له ..

\*\*\*

وبين اكواب الشاى وكؤوس المارتينى ، التى كنت أقدمها ، كان زوجى يحادث كلا منهم فى مشروع شركته ، ويعرض عليه المساهمة فيها ، وكان كل منهم يتردد .. ولكن تعلقا فى وحبسا فى الصالون الائيق المريح ، كان يقبل اخيرا ، خصوصا وان زوجى - فى مبدا الامر - لم يكن يطلب مبالغ طائلة للمساهمة فى شركته ..

وكون زوجى اول شركة له ، ونجحت الشركة ، وانتقلنا الى بيت آخر رحب ، واتسع الصالون الائيق المريح وأصبح مؤثشا بأنخم الاثاث . ولم يكن الفضل لى وحدى ، بل كان الفضل هذه المرة لزوجى الذى كان أمينا على الاموال التى وضعها الشركاء بين يديه ، وكان ذكيا محظوظا فعاد لكل شريك ربح لم يكن يحلم به واتسعت اعمال الشركة ، ثم أصبحت لنا شركة ثانية ، وثالثة ، وكلما اتسعت الاعمال كلما ازدادت اعبائى ، فقد كان على أن أضم الى زوار الصالون ، رجالا من السياسيين وكبار

الموظفين الذين تحتاج الشركة الى نفوذهم .. وكان على أن ابدل لكل منهم املا ، وكانت حبال هذا الأمل تطول أحيانا حتى تنقطع ، ويفقد الرجل نظرتة الى كامرأة ويكفى مرغما بان يعتبرنى صديقة وسيدة صالون

وكانت ثروتنا قد أربت على المليون ، وانتقلنا الى قصر فخم فى ضواحي باريس وأصبح لنا اسم كبير ونفوذ كبير ، وأنجبت ولدى الاول « البير » .. ورغم ذلك لم يكن للحب مكان فى هذا القصر ، كما انى خلال هذه الفترة لم أفكر فى أن أمنح نفسى لرجل آخر ، رغم كثرة الرجال الذين كانوا يحيطون بى ..

ولكنى كنت أغار على زوجى أو على الاصح كنت أغار على هذا النجاح الذى ساهمت فيه ، والذى يتمثل فى زوجى ..

ولم يكن يهمنى أن يتمتع زوجى بأحضان امراة اخرى فى ليلة عابرة ، ولكنى كنت حريصة على الا تختطفه امراة اخرى بعد كل ما فعلته من أجله ، وقد بلغ منى هذا الحرص الى حد أن طردت شقيقتى من بيتى وحرمت عليها دخوله ، لانى لاحظت - بل علمت - انها تسعى لاختطاف زوجى ... ولا زالت القطيعه قائمة بيننا حتى اليوم ، رغم المحاولات التى بذلتها امى للتوفيق بيننا ..

أقول لك هذا لتعرف ، الى اى حد كنت أحرص على زوجى ولا زلت أحرص عليه ، حتى لو ضحيت فى سبيله - بل فى سبيل النجاح الذى يمثله - بصديقك اسماعيل رغم حبى له ..

\*\*\*

وفجأة وجدنا أنفسنا - زوجى وانا - لا نملك سنتيما واحدا لقد ضاعت الشركات ، ولم نعد نملك سوى رأسينا .. حتى هذين الرأسين كان مصيرهما فى حكم القدر ..

حدث هذا عقب اعلان الحرب مباشرة ، وبعد ان وصلت جيوش الالمان الى ابواب باريس ، فقد تركنا كل شيء وراءنا ونزحنا الى الجنوب مع افواج المهاجرين ووجهتنا لندن .. لنحتمى بها ..

ولكن القنصل البريطاني - لأسباب لا شأن لك بها - رفض ان يمنحنا تأشيرة الدخول الى الاراضى الانجليزية ، فاضطررنا الى ان نعود الى باريس ، واضطررنا الى ان نعود معظم الطريق سيرا على الاقدام ، نتبادل انا وزوجى حمل ولدنا « البير » ، بعد ان اضطررنا الى ان نبيع السيارة التى هاجرنا بها لنفاذ البنزين ، ولكى نقتات بثمرها .. وانى اترك لخيالك ان تصور مدى ما عانيته فى طريق العودة ، خصوصا اذا علمت انى كنت حاملا بابتى « هنرييت » ..

\*\*\*

وعشنا فى باريس فقراء .. وانا اكره الفقر ، واكره الفقراء ، لانى اعتبرهم اغبياء فاشلين .. ولم يكن امامنا وسيلة نستعيد بها ثروتنا ، ونعود - كما كنا - اغنياء ، الا ان نتعاون مع قوات الاحتلال الالمانية ..

لماذا لا نتعاون مع الالمان ؟ ..

لقد كنا من قبل نتعاون مع الانجليز والامريكان ، دون ان يتهمنا احد بالخيانة العظمى ! !

ثم ما ذنبى انا وولدى وزوجى اذا كانت فرنسا قد وضعت مصيرها فى يد حكومة ضعيفة متخاذلة مستهتره ، وعجزت عن ان تعد جيشا قويا ، وامة قوية تدفع عنا الاحتلال !

ثم هؤلاء الموظفون الفرنسيون الذين لا يزالون فى وظائفهم رغم وجود الاحتلال ، وهؤلاء العمال الذين لا يزالون فى مصانعهم ..

الا يعتبر كل هؤلاء متعاونين مع الالمان ؟ ..

وقررنا - زوجى وانا - ان نتعاون مع الالمان ، وبدات نشاطى من جديد لابحث له عن شركاء .. وفى خلال اسابيع كان لى صالون متواضع ، ولكنه مريح .. وكان الصالون يضم ، هذه المرة ضباطا من الجيش الالمانى ، ورجالا من حكومة الاحتلال .. ولا اطيبل عليك ، فقد حصلنا على تعهدات كبيرة للجيش ، واصبحنا اغنياء مرة ثانية ، بل ومن اصحاب الملايين ..

ثم تحول مصير الحرب فى الاتجاه المضاد ..

وقبل ان تخرج آخر دبابة المانية من باريس ، كانت جموع من الشعب الفرنسى القيور تصرخ امام باب بيتنا وتقذفنا بالحجارة ..

والقيت على هذه الجموع نظرة من وراء الستائر فرايت فى الصف الاول منها وجوها طالما احسنت اليها .. وطالما سعت الى صداقتى ايام الاحتلال ..

ولم اكن من الغباء بحيث الوم هذه الجموع وهذه الوجوه على مسلكها ، فقد كنت اعلم ان كل حجر يلقيه واحد منهم على بيتى سيطالب بثمنه رجال العهد الجديد ، سيرفعه دليلا امام جيوش الحلفاء على انه كان من قوات المقاومة السرية ! !

\*\*\*

نهايته .. كان علينا ان ندبر فرارنا ، فقد كان مقدرا على زوجى ان يحاكم بتهمة التعاون مع الالمان ، بل انه حوكم فعلا - بعد فرارنا - وصدر عليه حكم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكان مقدرا على انا ، ان يخلق شعر راسى بالموسى ويطوف بى الشعب العزيز شوارع باريس للشهير بى ، وهى طريقة التعذيب الفريدة التى ابتكرتها العقلية الفرنسية بعد ان اعجزها ان تعيد

عهد الجيلوتين !

واستطعنا أن نخرج من باريس ومن فرنسا كلها ، وأن نصل الى مصر .. اما لماذا اخترنا مصر ؟ .. فقد كان اختيارا قرره الصدفة وحدها ..

وقد وصلنا مصر فقراء ، فقراء للمرة الثالثة ، وبلغ بنا الفقر الى حد اننا لم نكن نستطيع ان نقدم الى الطفلين « البير ، وهنرييت » سوى وجبة من الطعام في اليوم ، يتناولها بينما ننظر اليهما - زوجى وأنا - وأحشاؤنا تتمزق جوعا ، وقلوبنا تتمزق شفقة على الصغيرين .. حتى اذا ما انتهيا من طعامهما - دون ان يشبعا - تقاسمنا أنا وزوجى رغيفا من الخبز الحاف وكان زوجى يطوف بالاسواق طول النهار ، يدرس الحالة التجارية ، ويحاول أن يجد منفذا لكسب عيشه ، الى أن التقى بصديق كان له عليه بعض الافصال ، قدمه الى بعض أصحاب الشركات الذين كانوا قد سمعوا باسمه منذ كان يملك شركاته فى فرنسا ، فمنحوه منصب مستشار تجارى بمرتب لا بأس به ..

\*\*\*

وانتقلنا الى بيت متواضع فى شارع ابراهيم باشا ، ثم بدأ زوجى يفكر فى انشاء شركة تحمل اسمه ، وبدأت أصعد السلم من جديد ، ولم يكن قد انهكنى الصعود والنزول ، بل بدأت نشطة مرحلة كابنة الثامنة عشرة ..

وأصبح لى صالون ، يجتمع فيه كل مساء لفيف من رجال المال الاجانب واصحاب النفوذ المصريين .. وقد قابلتني ، فى مبدأ الامر ، تجربة جديدة لم أكن أعلم بها ، إذ انضح لى ان جو مصر الحار يؤثر على أعصاب الرجال ، حتى الاجانب منهم ، الى حد انهم لا يستطيعون ان يقفوا عند حد معين من المرأة ، بل يكفى ان

تصادفهم ابتسامه واحدة ، ليسيروا وراءها الى آخر الطريق .. وفى مصر اضطررت أن أخون زوجى لأول مرة .. لم أخنه حبا فى الخيانة ، ولا ارضاء لقلبي أو جسدى ، فقد كنت الى ذلك الحين امرأة ليس لها الا عقل يسيطر على قلبها وجسدها .. انما خنته حبا فى النجاح ، وكى أمنح زوجى شركته الجديدة .. خنته مع رجل من الاثرياء ، وكنا فى حاجة الى تقوده لتكوين رأس المال ، ولكنه لم يقتنع بالانضمام الى الشركة الا بعد أن أصبحت عشيقته ..

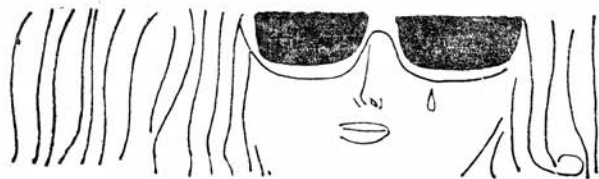
وتألفت الشركة الجديدة تحمل اسما مصرية ، وعدنا اغنياء للمرة الثالثة وانتقلت الى قصر أتيق على ضفاف النيل .. واستطعت ان أتخلص من العشيق بسهولة لم أكن أتصورها ، فقد وضعت فى طريقه امرأة أخرى ، كانت ابتسامه واحدة منها كافية لأن تخلصنى منه ..

وأحببت مصر ، وأحببت هذا العدد الهائل من الخدم السود الذى يحيط بى ، وأحببت المجتمع المصرى الكريم الضاحك دائما .. وفى مصر شيء لا تحس به فى أى بلد آخر ، وهو الاطمئنان الى المستقبل ، وهو ما كان ينقصنى طول حياتى ..

\*\*\*

ياعزيزى احسان :

هذا هو عمري قدمته لك فى سطور ، واعتقد اننى قد صححت كثيرا من معلوماتك عنى وعن حياتى الخاصة والعامة ، ولم أعد استحق منك كل هذا الظلم الذى حكمت به على لمجرد انى اجنبية جاءت الى مصر فى ظروف مرببة وظهرت فى المجتمع المصرى فجأة كاحدى صاحبات الملايين .. كل ما أرجوه منك ان تقدر هذا العمر ، وهذه الأيام ، ومدى



ياعزيزى احسان :

انك تعلم من هو صديقك اسماعيل ، انه انسان كل ما فيه يفيظ .. هذه الابتسامة الساخرة التى يعلقها فوق شفثيه ، وهذان الحاجبان الكثيفان المرفوعان دائما فى دهشة أشبه بالاحتقار ، وهذه الصراحة التى تبلغ أحيانا حد قلة الأدب ، وهذه الكلمات اللاذعة التى يطلقها بين حين وآخر فتصيب وتدمى ، وهذه البهدلة التى تبدو فى ثيابه ، وان كنت لا أنكر انها تليق به وتجعل منه انسانا جذابا ، ثم هذا الكسل والاستهتار اللذان يبدوان فى جميع حركاته ، وهذا الايمان الشديد بنفسه الى حد انه أصبح يعتقد ان مصائر الناس كلهم معلقة بطرف قلمه هذا هو صديقك الكاتب المشهور الاستاذ اسماعيل ..

ولم اكن قد قرأت للكاتب المشهور شيئا - فانى لا أقرأ العربية - ولم اكن سمعت باسمه الا فى فترات متباعدة ، وخلال احاديث عابرة ، عندما كان بعض الاصدقاء المصريين يتحدثون عن كتاب من كتبه ، او عن حملة من حملاته الصحفية .. ورايته لأول مرة فى حفلة ساهرة اقيمت فى منزل أحد شركاء

ما تحملته خلالها قبل ان تطالبني بأن اترك كل شيء .. واترك كل هذه الحياة المرفهة التى تحيط بى واترك هذا الزوج المثابر ، الذى ساهمت فى نجاحه وشاركنه بؤسه ونعيمه لالحق بصديقك اسماعيل الى حيث يدعونى ..  
والآن لنبدأ مع اسماعيل ، وهى قصة حب ، ظننت يوما انى أذكرى من أن أومن به ..

زوجى وكان يجلس فى مقعد كبير ، وقد وضع ساقا على ساق ،  
وانحصرت احدى « فردتى » سرواله حتى كشفت عن ساقه  
المغطاة بطبقة كثيفة من الشعر الأسود ، وكان يحمل فى يده كأسا  
من الويسكى لا يرفعهما الى شفثيه أبدا ، ولا يتركها من يده  
أبدا .. انما يحتفظ بها ويضغط عليها بأصابعه ، كقبس يضغط  
على عنق الخيطه يريد أن يخنقها ، وهذه هى احدى نزواته ،  
فهو لا يشرب الخمر ، ولكنه يحمل شعارها بيده !!

\*\*\*

وكانت تلتف به بعض المدعوات - بل معظم المدعوات - وكانت  
الضحكات ترتفع من بينهن عالية صاخبة ، وكان كلا منهن قد  
امتدت اليها يد تدغدغ خصرها ..  
وشعرت بالضيق فى هذه اللحظة ، فقد كنت اجلس بعيدا  
مع احد رجال البنوك ، وكنا نتبادل حديثا سمجا تتخلله بعض  
كلمات الفزل الرخيص الذى سئمته ، وسئمت الرد عليه بهذه  
الابتسامات المفتعلة وهذه اللفات التى أجيد تحريك عيني ورأسى  
بها .. كنت أريد أن انضم الى هؤلاء المدعوات اللاتى يضحكن ،  
وأريد أن التقي بشخص آخر ليس من رجال المال ولا من كبار  
الموظفين ، شخص كهذا الكاتب المستهتر الذى يجلس هناك ..  
وعندما رأى صديقى الذى يجالسنى انى أكثر من الالتفات  
الى حيث يجلس هذا الكاتب ، قال فى ازدرء :

- انه اسماعيل ، يهرج كعادته ..

قلت : يبدو أن تهريجه يلقي نجاحا كبيرا ..

قال : تعالى نستمع له .. انه شخص غريب ، أقام من نفسه  
تمثالا للفضيلة الكاملة .. ويريد أن ينصب هذا التمثال فى  
ميدان الرذيلة ..

وانتهجنا الى حيث يجلس اسماعيل ، وقدمه الى صديقى  
رجل البنوك ، فلم يقف احتراما كما تقضى اصول الاتيكيت ،  
انما اكتفى بأن هم بالوقوف .. ثم عاد وألقى بنفسه فى اهمال  
فوق المقعد الكبير ، وقال وقد علق عينيه السوداوين بعينى :  
- انى لم اسمع عنك ، ولكنى سمعت عن ملاينك ، وهذا  
أهم طبعاً ! ..

وضحكت السيدات من حولنا .. كان يجب أن اعتبرها  
اهانة ، وأن أصفعه أو ابصق فى وجهه ، أو أفعل أى شىء ..  
ولكنى لم أفعل شيئا ، انما اكتفيت بأن ابتسمت ابتسامة  
خفيفة فيها بعض الازدرء ، ولمح اسماعيل هذه الابتسامة ،  
فاتسعت عيناه وكأنهما اتسعتا اعجابا وتعجبا ، ثم ابتسم لى  
ابتسامة كانت كافية لأن اغفر له اهانتة !!

\*\*\*

وجلس على مقعد بجانبه وحاول صديقى أن يجلس أيضا ،  
ولكن اسماعيل صاح فى وجهه :

- لا ياسيدى .. انها « حصه » السيدات .. وأنا لا اسمح  
باحتلاط الجنسين فأرجوك أن تتبعد ..

ودهشت أن يجرؤ مثل هذا الانسان - الذى مهما بلغ من  
شهرة ، فهو لا يتعدى أن يكون كاتباً - على طرد مدير أكبر  
البنوك فى القاهرة ، من حضرته !!

ودهشت أكثر عندما لى مدير البنك امر الطرد .. وابتعد ،

وبدا اسماعيل نكاته وقصصه من جديد .. والسيدات والانسات  
يضحكن من حوله ، ولكنى لم أضحك كثيرا كما كنت أنتظر ،  
فقد أحسست ان اسماعيل ليس على طبيعته ، وان هذه النكات  
والقصص انما يفتعلها ليكسب قلوب النساء واعجابهن ، وأنت

تعرف ان ضعفه الوحيد هو النساء ..

ورغم ذلك فقد كنت لا أريد أن أبتعد عنه وعن مجالسته ، فانت معه تستطيع أن تكون على طبيعتك ، وتستطيع أن تريح نفسك من مظاهر الصالونات وآدابها ، بل وجدت نفسى دون أن أشعر أخلع أحدى فردتى الحذاء من قدمى ، لأنها كانت تتعبنى .. وهى أول مرة أخلع فيها فردة حذاء فى مكان عام منذ أصبحت سيدة صالون رغم أن جميع أحذيتى تضايق قدمى

\*\*\*

وقبل أن تنتهى السهرة دعوت الجميع الى قضاء السهرة التالية فى بيتى ، ولم تكن هناك مناسبة لدعوتهم ، كما انى لم أعود أن أدعو أحدا الا اذا كانت بى حاجة اليه ، ولكنى فى هذه المرة دعوتهم لانى كنت أريد أن أجدب اسماعيل الى بيتى .. ولم تكن بى حاجة الى اسماعيل ، ولكنى فقط أردت أن يشمل « صالونى » بعض رجال الأدب حتى يستكمل مظهره .. وعندما دعوته ، قال فى بساطة :

— بكل سرور .. ولكن يجب أن تعلمى انى انسان خطر لانى لا أجدب النفاق ..  
وأجبتة فى بساطته :

— سأحاول أن أجعل منك منافقا كبيرا !

واتسعت عيناه مرة ثانية إعجابا وتعجبا ..

هكذا التقيت باسماعيل لأول مرة ، وكنت أعتقد انه لا يعدو فى نظرى انسانا شادا يصلح لتزيين الحفلات الخاصة التى تقام فى صالونات المجتمع ، ولكن رغم ذلك فقد كنت أشعر بفرحة خفية لانى دعوته الى بيتى ، وبت ليلتها أفكر فيه وفى شذوذه ، بل وأفكر فى الثوب الذى سأرتديه فى السهرة التالية ، وكأنى

سأرتديه له وحده ..

وكان المفروض أن تبدأ السهرة التى دعوت اليها فى الساعة التاسعة أو العاشرة ، ولكن اسماعيل جاء فى الساعة السابعة وقاده الخادم الى الصالون الكبير ، وعندما خرجت اليه بعد نصف ساعة قضيتها فى استكمال زينتى ، وجدته قد قدم لنفسه كأسا من الويسكى قبض عليها بيده دون أن يرفعها الى شفثيه ، ووجدته قد أدار « البيك أب » ثم جلس فى مقعد وثير بجوار الشرفة التى تطل على النيل ..

\*\*\*

ولم يقف نادبا عندما تقدمت اليه ، انما اكتفى بأن همم بالوقوف ، بل انه لم يمد يده لمصافحتى ، وانما استراح فى مقعده وكان هذا البيت بيته ، وكأنى كنت معه دائما ، وكأنه ليس ضيفا انى قبل مواعده بساعتين !!

وتكلم وكأنه يتم حديثا بداه مع نفسه ، وكان يتكلم فى موضوع لم يخطر على بال ، ولا كنت أظن انه انى فى هذه الساعة ليتحدث بشأنه .. كان يتكلم عن الشعب المصرى ، وعن شقاء هذا الشعب ، وفقره ، والظلم الواقع عليه ، وكانت أصابعه خلال حديثه تضغط على كأس الويسكى فى قوة وكأنه يضغط على عنق عدو له ، وكان حاجباه مقطبين حتى لم أعد أرى عينيه من تحتهما ..

انه انسان آخر غير اسماعيل الذى رأيته بالأمس .. انسان لا يضحك ولا يهزل ، بل يحترق ، وأكاد أشم رائحة اللمب تنبعث من أطرافه ..

ووجدت نفسى أجاربه فى حديثه ، فقلت له :

— انى اخاف هذا الشعب المصرى ، لأنه يكره الاجانب ! ؟ ..

وأجاب في سرعة :

— انه لا يكرههم ، ولكنه يكره الطريقة التي يثرون بها على حسابيه ..

ونظر في عيني قائلاً :

— انى لا أكرهك ، ولكنى أكره ملايين زوجك !

وابتسمت ، وكأنى رضيت بأنه لا يكرهنى وان كان يكره ملايين زوجى ، ولكنى عدت أذافع عن هذه الملايين قائلة :

— ان هذه الملايين من حق كل رجل ذكى مجد قادر على العمل ..

— ان لصوص الخزائن أذكياهم ومجدون ، ورغم ذلك فليس من حقهم أن يسئولوا على ما فى الخزائن !

\*\*\*

وأحسست انى أهنت ، وأحسست بالدماء تغلى فى عروقى وتندفع الى راسى ، فصرخت فى وجهه :

— انى لست مسئولة عن الشعب المصرى ولا أرى مبررا للحديث عنه الآن ، كما لا أرى مبررا لحضورك قبل الموعد بساعتين ! !

ولم يتحرك من مكانه ، وانما ابتسم ابتسامة ارتسمت على أحد جانبي شفثيه ، ولا أدرى ان كانت ابتسامته رثاء للشعب ، أم رثاء لنفسه ، أم رثاء لى !

وسكت فترة ثم مد يده ووضعها فوق يدي فى رفق قائلاً :

— انه الموضوع الذى أتحدث فيه كلما خلوت الى نفسى ، وأنا أشعر وأنت بجانبى انى مع نفسى ! !

وسحبت يدي من تحت يده ، وقلت :

— ولكنك لا تعرفنى ..

— انى أعرف عنك كل ما يهمنى .. أعرف عنك هذا الجبين

العريض الذكى ، وهاتين العينين اللتين عذبتهما صور الحياة فبكتنا دائما بلا دموع ، وهذه الابتسامة الرقيقة الطيبة التى تحاول عبثا ان تبدو لاهية عابثة .. انى أعرفك كما لم يعرفك احد ، أعرفك زاهدة فى كل هذا الثراء الذى يحيط بك ، وأعرفك تخفين قلبك فى صدرك خوفا من ان ينبض فيصدم ، لأنه صدم مرة من قبل .. أليس كذلك ؟ .. ثم أعرف انك تستطيعين ان تفهمينى وان تريحى أعصابى المضطربة ، وان تدلينى على الطريق الذى أسير فيه وقد وقفت حائرا فى مفترق الطرق .. انى أستطيع أن أعتد على ذكائك واحساسك وطيبتك وليس عندي ما أقدمه لك سوى شبابى .. وهو لا يساوى شيئا !

\*\*\*

ووجدت نفسى تائهة بين هذه الكلمات ، ثم وقفت متباطئة واتجهت الى الشرفة المطلة على النيل حيث بدأت حسابا عسيرا بينى وبين نفسى تجمع فيه الماضى كله .. هل أنا حقيقة زاهدة فى كل هذا النجاح والثراء الذى ساهمت فيه وتعذبت من أجله ؟ هل أنا امرأة طيبة بعد كل ما فعلته ؟ .. هل لى قلب يستطيع ان ينبض بالحب ؟ ..

وكان قد جاء ووقف خلف ظهري دون أن يتكلم ، فاستدرت له لاشركه فى هذا الحساب القائم بينى وبين نفسى ، فاذا بى بين ذراعيه .. واذا بى أبكى ..

بكيت لأن قلبى قد نبض بعد هذا العمر الطويل الذى قضاه جامدا لا يتحرك .. وقد نبض بقوة لم تتحملها أعصابى فبكيت !

لقد اخذنى الى الاحياء البلدية لنشاهد مجد الشرق في ضوء القمر - كما كان يقول - وخيل الى ليلتها انى ارى القاهرة لأول مرة ، وانى انتقلت مئات السنين الى الوراء لاعيش في عصر هارون الرشيد وليالى الف ليلة وليلة ، وكانت المآذن المشرعة في ضوء القمر ترفعى معها الى السماء ، فأحس انى لأول مرة قد رايت الله .. رايته في الحب !!

\*\*\*

وسرنا طويلا على اقدامنا ، وتحدثنا كثيرا في اشياء لا اذكرها ، وكان ليلتها يستطيع ان يطلب اى شىء ، وكنت استطيع ان امنحه كل شىء .. ولكنه لم يطلب شيئا ، ولم امنحه شيئا ، فقد كنا نعلم ان العمر امامنا طويل ..

ولكنه قبلنى ، وقبلته .. واقسم لك انه اول رجل اقبله منذ خسرت الحب الاول .. فانى لم اقبل حتى زوجى ، انما كنت ادعه وادع الجميع يقبلوننى !

وعدت الى بيتى عند مطلع الفجر نشوى ، وكان زوجى ينتظرنى .. فصدمت عند ما رايته ، صدمت لا خوفا منه ، ولكن لانى تذكرت ان لى زوجا ..

ولم يقل لى شيئا .. ولم يسألنى شيئا .. وانما اكتفى بان قال : « ان الباشا قد غضب لاهمالك له وانصرافك عنه » .. ثم ادار ظهره وأختفى في غرفته ..

ولم اكن اعتقد ان غضب الباشا يستطيع ان يجر كل هذه المصائب !!

ولم اهتم كثيرا يومها ، بغضب الباشا - وهو احد اصحاب النفوذ الذين تحتاج اليهم الشركة - فقد كنت عرفت جيدا اخلاق كل « باشا » في مصر ، وعرفت ان ابتسامة واحدة تكفى



ياعزيزى احسان :

كل هذا حدث في اليوم الاول ، ولا اريد ان اصف لك كيف بدأت السهرة التى دعوت اليها ليلتها ولا كيف انتهت ، فانى لم اشعر بها ولم اشعر بأحد من المدعويين اليها ، ولا بد انى اسأت الى الكثيرين منهم ، ولا بد ان كبار الشخصيات التى تعودت منى المجاملة والابتسام قد غضبت ، فانى لم ابتسم لاحد ، ولم اجامل أحدا ، الا هو ..

وحدث اسوأ من هذا ..

لقد همس في أذنى عندما كنت اراقصه ، فاذا بى اختطف معطفى ، ثم أتسلل معه الى الخارج ، وأترك بيتى ومن فيه ، بما فيه زوجى .. ولم افكر ساعتها في الاحراج الذى يمكن ان أسببه لزوجى .. بل لم اتذكر ان لى زوجا ، فقد كنت ليلتها كفتاة في السادسة عشرة من عمرها تلتقى بأول رجل في حياتها ..

وعندما تحس امرأة في الخامسة والثلاثين بشعور فتاة السادسة عشرة .. فقد انتهت كامرأة ، وعجزت عن ان تكون فتاة ! ..

اين ذهبت انا واسماعيل ؟ ..



لتجربى اى واحد من اذنيه ، وكأسا واحدة تكفى لكى ينهار أمامى  
ويخور مستسلما كالثور الذبيح !  
ولكن هذه الابتسامة الواحدة لم أستطع أن أمنحها للباشا ،  
رغم أنى قضيت حياتى كلها فى ابتسامات زائفة ، وهذه الكأس  
الواحدة لم أستطع أن أبادلها معه رغم كل ما شربته من كؤوس  
النفاق ..

\*\*\*

لم أعد أستطيع أن أبتسم لأحد الا لاسماعيل ، ولم أعد  
أستطيع أن أشرب كأسا الا معه ، بل لم أعد أرى الا وجهه ولم  
أعد أسمع الا صوته ..  
كنت معه كل يوم ، وكل ساعة ، ولا أدرى متى كان يكتب ؟  
ومتى كان يذهب الى مكتبه ؟ ومتى كان يعد هذه الحملات  
الصحفية التى تثير مصر ، فقد كنا نلتقى ظهر كل يوم .. ثم  
لا نفترق الا فجر اليوم التالى ..  
وكنا نلتقى غالبا فى مسكنه المثير الشاذ ، الذى كان يسميه  
« الاستديو » والذى اتخذه فى بيت عتيق بحارة « درب البانانة »  
بحى القلعة ، حيث يسكن كثير من الفنانين البوهيميين وأصحاب  
المذاهب المتطرفة المطاردين من البوليس ..  
كنت لا تكاد تدخل البيت حتى تهب عليك ريح رطوبة من  
الماضى السحيق ، ولا تكاد تخطر فيه حتى يخيل اليك انك تخطر  
الى قبر مظلم يهز مشاعرك ويخلع قلبك ، ثم لا تكاد تصل الى  
حجرات الاستديو حتى تحس انك انتقلت الى عالم آخر ..  
عالم عبقرى هادىء ، تذوب فيه أعصابك حتى لا ترى الا  
إحلامك ، وتصمت الأصوات من حولك حتى لا تسمع الا حفيف  
إنفاسك وهى تهيم بين الجدران تبحث عما تريد ..

وقد اثت هذا « الاستديو » على الطراز العربى ، لا شىء سوى  
الوسائد المنتشرة على الارض فوق بساط داكن اللون ، وأرائك  
عريضة غطيت بحرير مذهب تلمع خيوطه فى أضواء قناديل الزيت  
المدلاة من السقف ..

انك لا تستطيع أن تجلس ، فليس هناك مكان للجلوس ..  
انما كل مكان يدعوك الى الاستلقاء ، ويدعوك لان تلقى بأعضاء  
جسدك فى اهمال لتريح نفسك منها ، وتريحها منك !

\*\*\*

وقد أحببت هذا الاستديو الذى تدخل اليه من فوهة قبر !  
أحببت حتى مظاهر الفقر المدقع التى تحيط بحى القلعة وتعلو  
وجوه سكانه ..

انا التى كرهت الفقر وعشت حياتى اقاومه ، وادفع زوجى  
فى طريق الثراء ، ليكون لى مثل هذا القصر الكبير الذى يطل  
على النيل ، أصبحت أتمنى أن أقيم حياتى فى حى القلعة ، على  
أن أقيم فيه مع اسماعيل ..

وأنا التى دفعت أيامى كلها ليكون لى هذا العدد من السيارات  
التي تنقلنى من الباب ، أصبحت أتمنى الا يكون لى الا باب واحد  
أجلس أمامه القرفصاء كهؤلاء النسوة الفقيرات ، على أن أجلس  
فى انتظار اسماعيل ..

انا التى كرهت كل من يشتغل بيديه ، واعتبرته فاشلا ،  
لا يستحق الشفقة ، أصبحت أتمنى أن أضع يدى فى « طشت  
الفسيل » وأغسل ثياب اسماعيل ، كما كنت أرى نساء حى  
القلعة يفعلن ..

الى هذا الحد أحببته ..  
أحببته حتى نسيت نفسى ، وولدى ، وزوجى ، وثرائى ..

وجمعت خمسة وثلاثين عاما من عمرى ، ومنحتها له ، وأذبتها بين ذراعيه ، وأنا التقت أنفاسه بشفتى وأعب منها ، وكأنه الرجل الوحيد الذى كان لى والذى منحته نفسى ..

لا .. لم أمنحه شيئا ، فقد كان كل شيء مقدرًا ، طبيعياً لا منح فيه ولا عطاء .. فهو لم يعتمد ان اعطيه ، انما وجدنا نفسينا نتبادل جسدنا وقلبيننا ..

ولكن القدر كان اقسى علينا من ان يتركنا في هدوء جميل .. لقد بدأ حال الشركة يسوء ، فانى خلال الأشهر الستة الأولى التى عرفت فيها اسماعيل لم أظهر في مجتمع من المجتمعات .. ولم ادع احدا من الشركاء أو من أصحاب النفوذ الى بيتى .. لا لشيء الا لانى قد نسيت ان هناك قوما يجب ان أقدم لهم ابتسامات الرياء وكؤوس النفاق ..

\*\*\*

ولم يعترض زوجى خلال هذه الأشهر على غيابى الدائمة .. وعلى عودتى كل صباح عند مطلع الفجر ، ولم يسألنى شيئا ، فقد تعود دائما الا يتدخل في حياتى الخاصة ، وتعود ان يعتمد على ذكائى ، وتعود الا يكون بيننا سوى المصلحة المشتركة في ان نعيش أغنياء ..

الى ان كان يوم ..

وكنت أهم بالخروج لتناول طعام الغداء مع اسماعيل .. فاذا بزوجى يدخل عائدا من مكتب الشركة ، ثم يلقي بين يدى ورقة صغيرة لا تزيد في حجمها عن ورقة « الكوتشينية » ولا تحفل فوقها سوى بضعة أرقام ..

ولكنها كانت أرقاما خطيرة ..

ان خسارة الشركة بلغت في صفقة واحدة حوالى مائتى الف.

جنه ، ومعنى هذا انه لم يبق سوى خطوة واحدة .. ثم الافلاس ! ..

وكانت هذه الخسارة بفضل مجهودات « الباشا » ، الذى رفضت ان اجامله ورفضت ان أستمّر في منافقته ، وقطعت عليه هذه اللذة الصيانية التى كان يشعر بها عندما يراقصنى ، فيضفطنى الى صدره ، أو عندما يجلس بجانبى فيضع يده على يدى ، أو عندما يهمس في اذنى بكلمة غزل رخيص ، فأتظاهر بان الدماء قد ارتفعت الى وجنتى ، وأقنعته انه مغازل ماهر خطير !

\*\*\*

ولم أناقش زوجى طويلا في هذه الخسارة ، بل أحسست بنفسى أفيق من حلم جميل ، وبدات أتذكر وجودى ، وجهادى العنيف الذى بذلته لتكون لى هذه الثروة التى تكاد ان تضع ، وتذكرت القصر الذى أعيش فيه ، وتذكرت مستقبل ولدى ، ودوطة ابنتى ، بل انى ساءلت نفسى :

« هل كان اسماعيل يجنبى لو لم يكن لى كل هذا الثراء ، ولو لم يرنى وسط هذه المظاهر الباذخة ؟ .. وفى هذه الثياب الأنيقة التى ارتديها ؟ » ..

تذكرت وتساءلت .. ثم اتجهت في صمت الى التليفون .. ودعوت « الباشا » الى العشاء فى بيتى !

ولم أحاول ان أتصل باسماعيل فقد خشيت ان أضعف امام صوته ، انما اكتفيت بان أبعث له برسالة مع السائق أعتذر فيها عن موعدنا ..

ومن يومها بدأ الكفاح بينى وبين اسماعيل للاحتفاظ بحيانا ..

كنت أريد ان احتفظ بحبه واحتفظ معه بسرائى ..

وكنت قد قضيت أسبوعا لم أر فيه اسماعيل ، وتفرغت.

لاسترضاء « الباشا » وجمع الشركاء وأصحاب النفوذ حولى من جديد ، ولكنى أؤكد لك انى لم انس اسماعيل يوما واحدا خلال هذا الاسبوع ، بل لم يقب عن قلبى ساعة واحدة .. وكنت اعود الى فراشى بعد سهرة مملّة أمضيتها مع هؤلاء الرجال فأحس بشفتى تحترقان وتناديان فى ظلما شففتى اسماعيل ، وأحس بجسدى يتلوى ويصرخ طالبا ذراعى اسماعيل ، ثم أحس بقلبى يدق كأنه يدق على باب « الاستديو » متخبطا بين جدران حارة « درب اللبانة » ..

وكنت دائما أبحث عن وسيلة أجر بها اسماعيل الى الطريق الذى أسير فيه .. وتساءلت :

— لماذا لا أجعل منه رجلا من رجال الأعمال الصالحين ؟ ! ..

\*\*\*

ان اسماعيل له اسم رنان مشهور ، وقد استطاع فى سنوات قصيرة أن يجعل من قلمه سلاحا يخيف به السياسة والحكام ، ورجال الأعمال أيضا ، وان كلمة منه لا يمكن أن يرفضها وزير أو حاكم استرضاء له واتقاء لقلمه ، فلماذا لاؤدى بعض الخدمات الصغيرة للشركة التى لن تكلفه الا كلمة هنا ، ورجاء هناك ؟ ! ..

ثم ان اسماعيل ، وان كان يحس بالام الشعب ويطرحها بقلمه الا انه يكره الفقر ، ويكره أن يعيش فقيرا كما يعيش عامة الشعب ، وهو لا يملك الا ما يدفعه له قلمه ، وقد يصل دخله الى مائة أو مائتى جنيه فى الشهر ، ولكنى اعلم ان هذا الدخل التافه لا يكفيه ليعيش كما يريد ان يعيش ، ولا يكفيه ليجارى هذا المجتمع الثرى الذى أصبح بحكم شهرته عضوا فيه .. فكيف يرفض بعد هذا أن يكون « صديقا » للشركة ، اذا علم ان هذه « الصداقة » ستجعل منه ثريا منعا !

وفى نهاية الاسبوع ، وكنت قد استعدت للشركة مركزها بفضل استرضاء « الباشا » ، دعوت اسماعيل الى حفلة ساهرة كنت أقيمها فى قصرى لعدد كبير من الأصدقاء والصديقات ، وكنت أخشى الا يجيء ، ولكنه جاء ..

ورأيته كما رأيت له لأول مرة ، هذا الانسان الذى يفيظ ، وهذه الابتسامة الساخرة التى يعلقها فوق شفثيه ، وهذان الحاجبان الكثيفان المرفوعان دائما فى دهشة أشبه بالاحتقار ..

ولم يبد عليه اثر لهذا الاسبوع الذى قضاه دون أن يلتقى بى ، بل أحنى رأسه فى برود عندما حيانى ، ثم بدأ يطوف بالمدعويين يوزع عليهم تكاته القاسية ، وكلماته الصريحة التى تدمى ، ولم يرحمنى أنا أيضا من صراحته وسخريته ، فقد رأى ابتمس لأحد المدعويين ، فأقترب منى ليقول بصوت مسموع :

— هذه الابتسامة كانت تكون جميلة لولا ما فيها من نفاق ! ..  
وسمعتنى أهنيء أحد الوزراء على خطاب كان قد القاه يومها فقال بصوت مسموع أيضا :

— لماذا لا تهنيئنيه على صفقة تصدير الارز ! ..

وغضب الباشا الوزير وانصرف عنى وعنه ، أما أنا فقد تحملتها صابرة ، الى أن انتهت السهرة وبدأ المدعوون فى الانصراف ، ففضفت على يده ادعوه لأن يبقى بعد انصراف المدعويين ، ويبدو انه كان قد قرر البقاء حتى لو لم ادعه ..

\*\*\*

وانفردنا سويا ، بعد أن دخل زوجى ليناام ..

وكان يجب أن ألقى بنفسى بين ذراعيه ، وأذوب بين أنفاسه بعد هذا الظلما الذى قاسيته أسبوعا كاملا ، ولكنى لم أفعل ، فقد كنت ساعتها سيدة أعمال ، وكنت أريد أن أحدثه فى مشروع

الخدمات التي يمكن أن يؤديها للشركة .. وقد كرهت نفسي في هذه الساعة ، وكرهت أن يكون لي عقل وأنا مع اسماعيل بعد أن تعودت إلا أكون معه سوى قلب وجسد ..

وجلسنا في الشرفة المظلة على النيل ، وبدأت أحداثه في مشروعى وأمنيه بالثراء والمجد والنفوذ ، وعندما انتهيت ، سحب ابتسامته الساخرة من فوق شفتيه وقال في هدوء أنه يرفض المشروع ، ويرفض أن يزوج بنفسه أو باسمه في أعمال الشركات ، لا تعففا منه ، فإنه يحب أن يكون غنيا ، ويحب أن يملأ جيوبه بالمال لينفقه على نزواته الشاذة ، ولكنه يرفض لأنه لا يستطيع ، وقد حاول من قبل أن يقوم بمثل هذه الأعمال في ساعات كان يضعف فيها أمام اغراء الدنيا ، ولكنه فشل ، وهو يفشل في كل عمل يحاول أن يقوم به دون أن يؤمن به .. والى أن يؤمن بأعمال الشركات فلا جدوى في أن يزوج بنفسه فيها ، وخير له أن يستسلم لأحاسسه الوطنية الذي يطفى على تفكيره ، وإن يستسلم لحقده على الاغنياء الذين يحاول أن يحطمهم بقلمه ..

قال كل هذا في هدوء ، ثم قام لينصرف ..

\*\*\*

ونظر كل منا في عيني الآخر ، ورغم ذلك فقد انحنى وطبع قبلة خاطفة على وجنتي ثم اختفى

ولم اكن قد فقدت الامل منه بعد ..

وعدت أتردد عليه في « الاستديو » في فترات متقطعة لساعات قصيرة ، وكان كل منا يحاول أن يسترد الآخر ، ولكن عبثا ، فقد جعلتني الصدمة التي أصابت الشركة أفتق من حلمي الجميل ، ولم أستطع بعد ذلك أن أغمض عيني لأعود الى دنيا الاحلام ..

وكنت لا ازال الح عليه ان يعاوننى في أعمال الشركة حتى أحصل منه رجلا آخر .. غير هذا الفنان الثائر البوهيمي الحاقد على الدنيا حتى ليخيل اليك انه شيوعى .. رجلا أستطيع ان احتفظ به الى جانبي دون أن يضطرني الى هجر دنياى فى سبيله ..

كانت معركة بين المال والفن وقد قاوم الفن حتى آخر لحظة ولم تفلح جميع حيلى لانتصر عليه ..

وكنت قد بدأت اغرقه في هدايا ثمينة حتى اذيقه طعم المال والثناء عله يلين .. أهديته مرة سيارة ، فاذا به يقبلها شاكرا ثم يتبرع بها لاحدى الجمعيات الخيرية تحت اسم « فاعل خير » ، وأهديته مرة ساعة ذهبية فاذا بي أراها بعد أيام في يد « زكية » احدى نساء حى القلعة ، وأهديته مرة ست حلل وعشرات من اربطة العنق والمناديل « اللينون » والقمصان فاذا به يوزعها على زملائه الفنانين الذين يسكنون حوله

وخابت جميع حيلى ، وبدأ يتعد عنى بروحه شيئا فشيئا وانا اراه يتعد دون أن أستطيع شيئا ..

\*\*\*

وسألته يوما :

— لم لا تريد ان تكون غنيا ؟

قال — انى غنى بأصدقائى الفقراء !

قلت — انك تستطيع ان تشتري الاصدقاء بالمال ..

قال — ان المال قد يشتري الاصدقاء ولكنه لا يشتري الصداقة ..

قلت — ولكنك انت نفسك في حاجة الى المال

قال — انى في حاجة اولا الى فنى الذى يعيش به قلمى

قلت — قد تجمع بين المال والفن

قال - لا ، فاني استمد الفن من الحرمان الذي لا يراه الاغنياء لان عيونهم من ذهب لا من نور ..

قلت - ولكن كثيرا من الفنانين اغنياء !

قال - ان هؤلاء يبيعون انتاج الفن لا الفن نفسه .. وانت تريدني ان ابيع فنى ونفسى ، تريدني ان تبىع عقلى وقلبى ، تريدني ان اكون منافقا ، وان اكون ظالما ، وان اكون طامعا ، وتريدني ان اتستر بقلمى على صور من حق الفن ان يبرزها ، وتريدني ان احس بنفسى ولا احس بالجمع الذى اعيش فيه .. وهذا ما لا استطع !!

قلت - انى لا اريدك الا ان تعيش منعماً بجانبى !

قال - انى لا استطع ان اتمم وحدى ، على حساب الناس ، ولا استطع ان اتمم بالثراء لاني مصاب بمرض يسمى الضمير ! ولم اقنعه ، ولم يقنعنى ، ورغم ذلك كنا نلتقى ، وكنا نحاول ان نتبادل قلوبنا وجسدينا ، كما كنا نفعل في شهور العسل الاولى فكنا نفشل ونخيب ..

الى ان كان يوم ..

وجاءني اسماعيل في بيتى بلا موعد ، وكان نائرا ، ثم القى بين يدي بضعة اوراق ، وهو يقول بصوت لم يستطع ان يجعله خفياً :

- اهذه هي الشركة التي تريدني ان اقدم لها خدماتي !؟

وقلبت الاوراق امام عيني ، فاذا بها بعض المستندات التي اعتاد اسماعيل ان يحصل على مثلها أخيراً ، وكانت مستندات تثبت على الشركة تلاعباً في احدى الصفقات ، وتكفى - لو اراد اسماعيل - لخرايى وخراب زوجي وخراب الشركة ..

\*\*\*

ونكست راسي صامتة ، بينما كان اسماعيل يروح ويגיע وهو

يتكل في صخب عن حقوق الشعب ، وقوته ، وفقره ، وعن العبيد والاسياد ، وجرائم الشركات !

والفتت اسماعيل نحوى ، فرأى في عيني نظرة هلع ..

نعم .. لقد كنت هالعة مما يستطيع ان يفعله اسماعيل بنا .. ووقف قبالي صامتاً ، وهو يحاول ان يسترد انفاسه ، ثم فجأة ، اختطف الاوراق من بين يدي وأخرج علبة ثقابه وأشعل منها عوداً قريبه من الورق فاندلعت فيه النار ، وقبل ان يأتي على آخر قصاصة القى بها على الارض واطفاها بقدمه ، فتركت في البساط رقعة سوداء لا تزال فيه حتى اليوم ، ولم أحاول ان اخفيها ، لانها آخر ما بقى لى من اسماعيل !

وخرج ..

ولم التق به بعدها ، ولم أعد اراه الا في بعض الحفلات الساهرة وكان دائماً يتعمد ان يتجنبني وكأنى اذكره برقعة سوداء في حياته .. هذه الرقعة السوداء التي ترك مثلها على بساط الصالون في قصرى ..

ولم يكتب اسماعيل شيئاً عن صفقات الشركة .. ولكنه كتب قصة ..